كتاب أخبار النساء

تأليف العلامة الهمام شيخ مشايخ الاسلام الاستاذ
الحافظ شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي الحنبلي
المعروف بابن قيم الجوزي المولود في سنة
٦٩١ والمتوفى في سنة ٧٥١ ..
رحمه الله تعالى

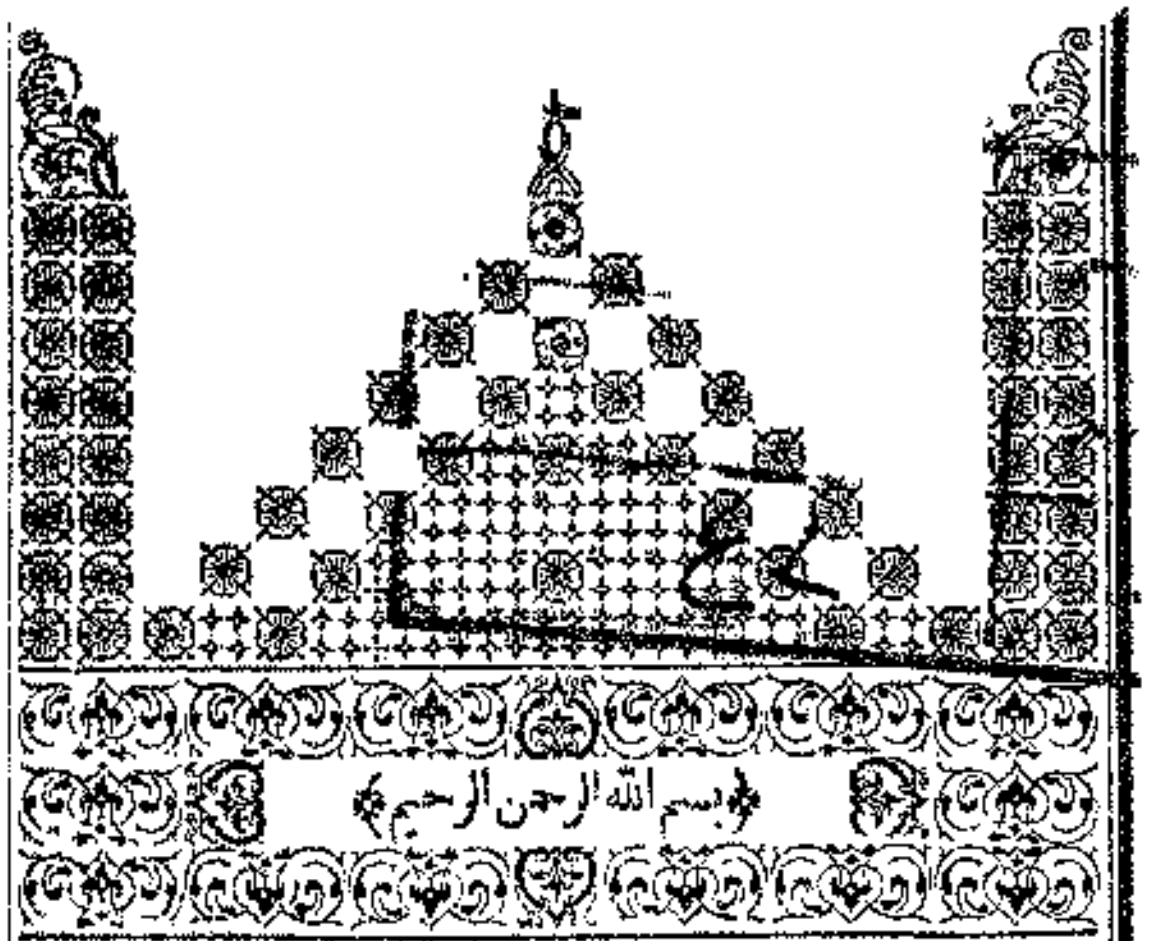

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكرت فيه أخبار النساء فاقول ومن الله تعالى القبول

﴿باب فى أوصاف النساء﴾

قال معاوية لصعصعة أى النساء أحب اليك قال الموانبة لك فيما تهوى قال فأيهن أبغض اليك قال أبعدهن لما ترضى قال معاوية هذا النقد العاجل فقال صعصعة بالميزان العادل (وقال معاوية) ما رأيت نهما فى النساء الا عرف ذلك فى وجهها (نسكت) امرأة الى زوجها قلة اتيانه اليها فقال لها أنا وأنت على قضاء عمر قالت ما قضى عمر قال قضى عمر أن الرجل اذا أتى امرأته فى كل طهر فقد أدى حقها (وقع) بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع فقالت له أبعدك الله كلما وقع بيننا شر جئتنى بشفيع لا أطيق رده جاء رجل الى على رضى الله عنه فقال له ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها وعلى اثمها (غزا) ابن هبيرة الغسانى الحرث بن عمر فلم يصبه فى منزله فاخرج ما وجد له واستاق

امرأته

امرأته فاصابها في الطريق وكانت من الجمال في نهاية فاعجبت به فقالت له ايخ فوالله لكأني به يتبعك كأنه بعسيراً كل مرار فبلغ الخبر الرجل فاقبل يتبعه حتى لحقه فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته فقال لها هل أصابك فقالت نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط فاطمها ثم أمر بها فوثقت بين فرسين ثم أحضرهما حتى تقطعت ثم أنشد

كل أنثى وان بدا لك منها * آية الود حبها خيتعور
ان من غره النساء بود * بعدها الجاهل مغرور

قال بعض الحكماء لم تنه قط امرأة عن شيء الا فعلته للغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

﴿وغيره﴾

لا تأمن الانثى حبتك بودها * ان النساء ودادهن مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها * وغدا لغيرك كفها والمعصم

(سئل) أعرابي عن النساء وكان ذاهم بهن فقال أفضل النساء أطولهن اذا قامت وأعظمهن اذا قعدت وأصدقهن اذا قالت التي اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ جودت التي تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة في قومها الذليلة في نفسها الودود الولود التي كل أمرها محمود (طلق) رجل امرأته فقالت له أبعد صحبة خمسين سنة قال مالك عندنا ذنب غيره (قال عبد الملك بن مروان) من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية (قال الاصمعي) بنات العم أصبر والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الابطال كابن عجمية (ذكر) ان معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق وكان ليس مفتح الجوانب لدخول النسيم فبينما هو على فراشه وأهل مملكته اذ نظر الى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلا حافيا والبوم شديد الحر فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه لم يخلق الله من

احتاج الى نفسه فى مثل هذا اليوم ثم قال يا غلام سر اليه واكشف عن حاله وقصته فوالله لئن كان فقيرا لأغنينه ولئن كان شاكيا لانصفنه ولئن كان مظلوما لأنصرنه ولئن كان غنيا لافقرنه فخرج اليه الرسول متلقيا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال له ممن الرجل قال سيدى أنا رجل اعرابى من بنى عذرة أقبلت الى أمير المؤمنين مشتكيا اليه بظلامة نزلت بى من بعض عماله فقال له الرسول أصبت يا اعرابى ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم أنشأ يقول

معاوى ياذا العلم والحلم والفضل * وياذا الندى والجود والنائل الجزل
أتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى * فياغيث لاتقطع رجائى من العدل
وجدلى بانصاف من الجائر الذى * شوانى شيا كان أيسره قتلى
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى * وجار ولم يعدل وأغضبنى أهلى
قصدت لارجو نفعه فاثابنى * بسجن وأنواع العذاب مع الكبل
وهم بقتلى غير ان منيتى * تأبت ولم أستكمل الرزق من أجلى
أغثنى جزاك الله عنى جنة * فقد طار من وجد بسعدى لها عقلى

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا اعرابى انى أراك تشتكى عاملا من عمالنا ولم تسمه لنا قال أصلح الله أمير المؤمنين هو والله ابن عمك مروان ابن الحكم عامل المدينة قال معاوية وما قصتك معه يا اعرابى قال أصلح الله الامير كانت لى بنت عم خطبتها الى أبيها فزوجنى منها وكنت كلفا بها لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة فبقيت معها يا أمير المؤمنين فى أصلح حال وأتم بال مسرورا زمانا قرير العين وكانت لى صرمة من ابل وشويهات فكنت أعولها ونفسى بها فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر فوقع فيها داء فذهبت بقدرة الله فبقيت لا أملك شيا وصرت مهينا مفكرا قد ذهب عقلى وساءت حالى وصرت ثقلا على وجه الارض فلما بلغ ذلك أباها حال بينى وبينها وأنكرنى وجحدنى وطردنى ودفعها عنى فلم أقدر لنفسى بحيلة ولا لنصرة فاتيت الى عامل مروان بن

الحكم مشتكيا بعمي فبعث اليه فلما وقف بين يديه قال له مروان يا ايها
الرجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته قال أصلح الله الامير ليس له
عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط قالت أنا أصلح الله الامير أنا راض
بالجارية فان رأى الامير ان يبعث اليها ويسمع منها ما تقول فبعث اليها
فأتت الجارية مسرعة فلما وقفت بين يديه ونظر اليها والى حسنها وقعت
منه موقع الاعجاب والاستحسان فصار لي يا أمير المؤمنين خصما
وانتهرني وأمر بي الى السجن فبقيت كأني خررت من السماء في مكان
سحيق ثم قال لابيها بعدي هل لك ان تزوجها مني وأنقدك ألف دينار
وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم تنتفع بها وأنا أضمن طلاقها قال له
أبوها ان أنت فعلت ذلك زوجتها منك فلما كان من الغد بعث الي فلما
ادخلت عليه نظر الي كالاسد الغضبان فقال لي يا اعرابي طلق سعدى
قلت لا أفعل فأمر بضربي ثم ردني الى السجن فلما كان في اليوم الثاني قال
علي بالاعرابي فلما وقفت بين يديه قال طلق سعدى فقلت لا أفعل فسلط
علي يا أمير المؤمنين خدامه فضربوني ضربا لا يقدر أحد على وصفه
ثم أمر بي الى السجن فلما كان في اليوم الثالث قال علي بالاعرابي فلما
وقفت بين يديه قال علي بالسيف والنطع وأحضر السياف ثم قال
يا اعرابي وجلال ربي وكرامة والدي لئن لم تطلق سعدى لافرقن بين
جسدك وموضع لسانك فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طلقة
واحدة على طلاق السنة ثم أمر بي الى السجن فحبسني فيه حتى تمت
عدتها ثم تزوجها فبنى بها ثم أطلقني فاتيتك مستغيثا فدرجوت عدلك
وانصافك فارحمني يا أمير المؤمنين فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني
الارق وآذاني القلق وبقيت من حبها بلا عقل ثم انتحب حتى كادت
نفسه تفيض ثم أنشأ يقول

في القلب مني نار * والنار فيه الدمار
والجسم مني سقيم * فيه الطبيب يحار

والعين تهطل دمعا * فدمعها مدرار
حملت منه عظيما * فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليل * ولا نهاري نهار
فارحم كئيبا حزينا * فؤاده مستطار
اردد علي سعادي * بتبيك الجبار

ثم خرّ مغشيا عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال وكان في ذلك الوقت معاوية متكئا فلما نظر اليه قد خرّ بين يديه قام ثم جلس وقال انا لله وانا اليه راجعون اعتدى والله مروان بن الحكم ضرارا في حدود الدين واحسارا في حرم المسلمين ثم قال والله يا اعرابي لقد أتيتني بحديث ما سمعت بمثله ثم قال يا غلام علي بدواة وقرطاس فكتب الى مروان أما بعد فانه بلغني عنك انك اعتديت على رعيتك في بعض حدود الدين وانتهكت حرمة لرجل من المسلمين وانما ينبغي لمن كان والياً على كورة أو اقليم ان يغض بصره وشهواته ويزجر نفسه عن لذاته وانما الوالي كالراعي لغنمه فاذا رفق بها بقيت معه واذا كان لها ذئبا لم يحطها بعده ثم كتب بهذه الابيات

وليت ويحك أمر الست تحكمه * فاستغفر الله من فعل امرئ زانى
قد كنت عندي ذا عقل وذا أدب * مع القراطيس عقالا وفرقان
حتى أتانا الفتى العذري منتحبا * يشكو اليتابيث ثم أحزان
أعطى الاله عينا لا أكفرها * حقا وأبرأ من ديني ودياني
ان أنت خالفتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقباني
طلق سعاد وعجلها مجهزة * مع الكميت ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلغت في بشر * ولا كفعلك حقا فعل انسان
فاختر لنفسك اما أن تجود بها * أوان تلاقي المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب وقال علي بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد فلما وقفا بين يديه قال اخرجا بهذا الكتاب الى مروان بن الحكم ولا تضعاه

الابيه قال فخرجا بالكتاب حتى ورد به عليه فسلما ثم ناولاه الكتاب
ففعل مروان بقرأه و يردده ثم قام ودخل على سعدى وهو باك فلما
نظرت اليه قالت له سيدى ما الذى يبكيك قال كتاب أمير المؤمنين ورد
على فى أمرك يأمرنى فيه ان أطلقك وأجهزك وأبعث بك اليه وكنت
أودّ أن يتركنى معك حولين ثم يقتلنى فكان ذلك أحب الىّ فطلقها
وجهزها ثم كتب الى معاوية بهذه الابيات

لا تجعلن أمير المؤمنين فقد * أوفى بنذرك فى رفق واحسان
وما ركبت حراما حين أعجبنى * فكيف أدعى باسم الخائن الزانى
اعذر فانك لو أبصرتها لجرت * منك الاماقى على أمثال انسان
فسوف يأتيك شمس لا يعادلها * عند الخليفة انس لا ولا جان
لولا الخليفة ما طلقتها أبدا * حتى أضمن فى لحد وأكفان
على سعاد سلام من فتى قلق * قد خلفته باوصاب وأحزان

ثم دفعه اليهما ودفع الجارية على الصفة التى حدّت له فلما ورد على معاوية
ذلك كتابه وقرأ أبياته ثم قال والله لقد أحسن فى هذه الابيات ولقد
أساء الى نفسه ثم أمر بالجارية فادخلت اليه فاذا بجارية رعبوبة
لا تبقى لناظرها عقلا من حسنها وكمالها فعجب معاوية من حسنها ثم
تحوّل الى جلسائه وقال والله ان هذه الجارية لكاملة الخلق فان كملت
لها النعمة مع حسن الصفة لقد كملت النعمة لمالكها فاستنطقها فاذا
هى أفصح لسان العرب ثم قال على بالاعرابى فلما وقف بين يديه قال له
معاوية هل لك عنها من سلو وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل
جارية منهن ألف درهم على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز والديباج
والحرير والكتان وأجرى عليك وعليهن ما يجرى على المسلمين وأجعل
لك ولهن حظا من الصلات والنفقات فلما تم معاوية كلامه غشى على
الاعرابى وشهق شهقة ظن معاوية انه قد مات منها فلما أفاق قال له
معاوية ما بالك يا اعرابى قال شر حال وأسوأ حال أعوذ بعدلك يا أمير

المؤمنين من جور مروان ثم أنشأ يقول

لا تجعلني هداك الله من ملك * كالمستجير من الرمضاء بالنار

اردد سعادعلى حران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار

والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في قبري وأجاري

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

أطلق وثاقي ولا تبخل علي بها * فان فعلت فاني غير كفار

فاجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرم * لا فعل غيرك فعل اللؤم والعار

ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول

أبى القلب الا حب ليلى وبغضت * الي نساء ما لهن ذنوب

وما هي الا ان أراها فجاءة * فابهت حتى لا أكاد أجيب

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا اعرابي قال نعم يا أمير المؤمنين قال انك مقر عندنا انك قد طلقتها وقد بانت منك ومن مروان ولكن نخيرها بيننا قال ذاك اليك يا أمير المؤمنين فتحول معاوية نحوها ثم قال لها يا سعدى أينا أحب اليك أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره أو مروان في غصبه واعتدائه أو هذا الاعرابي في جوعه وأطماره فاشارت الجارية نحو ابن عمها الاعرابي ثم أنشأت تقول

هذا وان كان في جوع وأطمار * أعز عندي من أهلي ومن جاري

وصاحب التاج أو مروان عامله * وكل ذي درهم منهم ودينار

ثم قالت لست والله يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته ولقد كانت لي معه صحبة جميلة وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء وعلى الشدة والرخاء وعلى العافية والبلاء وعلى القسم الذي كتب الله لي معه فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها في صدقات بيت المسلمين (قال أبو

الخطاب)

الخطاب) حكان عند نار جل أحدب فسقط فى بئر فذهبت حديقته وصار آدر فدخل عليه جيرته يهنونه فقال الذى جاء شر من الذى مر ﴿ذكر﴾ اعرابى رجلا جميلا فقال والله لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها ولو رأته عاتق الخمر لطار خمارها وقال بعض الاعراب

ماذا تظن سليمى أن ألم بنا * مرجل الرأس ذو بردين مزاح
نزعماته حلو فكاهته * فى كفه من رقاد ليس مفتاح

﴿ويروى﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من كلب فبعث عائشة رضى الله عنها تنظر اليها فقال لها كيف رأيتها قالت ما رأيت طائلا قال لقد رأيت طائلا ولقد رأيت حالا تجدينها حتى اقشعرت كل شعرة فيك فقالت ما دونك ستر يا رسول الله ﴿ويروى﴾ عن حيان بن عمير انه قال دخلت على قتادة بن ملحان فر رجل فى أقصى الدار فرأيت صورته فى وجه قتادة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم مسح وجهه ﴿وعن عون ابن عبد الله﴾ أنه قال من كان فى صورة حسنة ونسب وحسب ووسع عليه فى الرزق كان من خلصاء الله ﴿ويروى﴾ عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل فان كانوا فى القراءة سواء فاصبحهم وجها (وعن ابن عباس) انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى الوجه الحسن يجلو البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث الغلج قال حليلان المغنى دخلت دار هرون الرشيد فاذا أنا بجارية خماسية أحسن الناس وجها على يدها اسطران مكتوبان بالغالية فقرأتهما فاذا هما مما عمل فى طوران الله فتنة لعباد الله ﴿وقال بعضهم﴾ سمعت يحيى ابن سفيان يقول رأيت بعصر جارية بيعت بالف دينار فما رأيت وجها قط أحسن من وجهها صلى الله عليها قال فقلت له يا أبا زكريا مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك فقال وما تنكر لى من ذلك صلى الله عليها وعلى كل مليح يا ابن أخى الصلاة رحمة (قال) خرج شامة بن لؤى بن غالب من مكة حتى نزل بعمان على رجل من الاسد وكان شامة بن لؤى من أجمل

خلق الله فقراه وبات عنده فلما أصبح قعد يستن فنظرت اليه زوجة الاسدى فاعجبها فلما رمى مضت الى سواكه فاخذتها فمصتها فنظر اليها زوجها فحلب ناقة وجعل فى اللبن سما وقدمه الى شامة فغمزته المرأة فاراق اللبن وخرج يسير فبينما هو فى موضع يقال له خرق الجلبة أهوت ناقته فى عربة فانتقلتها وفيها أفعى فنهشت مشفرتها فحكتها على ساق شامة فماتت فقالت الازد

اذا نافتى حلت بليل ففارقت * جميلة لما انبت منها قرينها
فقلت لها حتى قليلا فانتى * واياك نخفى عبرة نستزينها
غدرت بنا بعد الصفاء وخنتنا * وشر مصافى خلة من يخونها

(قال سليمان بن أبى سمح) تزوج رجل من تهامة امرأة من نجد فلما انقلها اليه قالت له ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا ما رأيتها ههنا فقال يحجزها عنا هذان الجبلان فانشأت تقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست * على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو يشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها

(قال الزبير) حدثنى أبى قال كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له امرأة تحبه ويحبها وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق وكل ذلك يحتمله لشدة محبته اياها فلما ساءت حاله وكثر دينه قال

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكى الفقر أولام الصديق فاكثرا
وصار على الادنين كلا وأوشكت * قلوب ذوى القربى له ان تنكرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا
وما طالب الحاجات من حيث يبتغى * من الناس الا من أجد وشمرا

فلما أصبح قال لامرأته أنا والله أحبك ولا صبر لى على ما نحن فيه من ضيق العيش فجهزينى فجهزته فخرج حتى قدم على معاوية بن أبى سفيان رضى

الله عنه فقام بين الصفين فاخبره بحاله وأنشده الشعر فرق له وأمر له بالف دينار وقال له قد دلني حالك على محبتك لاهلك وكراهيتك لفراقهم فخذوا نصرف اليهم فاخذها وانصرف راجعا ﴿وأنشد﴾ الزبير بن بكار لجميل بن معمر

من كان في حب الحبيب حبيبه * حدود لقد حلت علي حدود
ألا أيها الغيران بي ان أحبها * بسخطك ينمي حبها ويزيد
فلو مت كان الموت يخلف الهوى * لطافي فؤادي وجدوه وجديد
وتحسب نسوان اذا جئت زائرا * بثينة اني بعضهن أريد
فتخبركم عنا جنوب مضلة * وتخبرناهتف العشي برود
اذا بلغتكم حاجة رجعت لنا * اليكم بانوى منالها فيعود

وأنشد أيضا لجميل بن معمر العذري

تمتعت منكم يا بثين بنظرة * على عجل والنابجات وقوف
فيا حبذا أم الوليد ومربع * لنا ولها بالمنحنى ومصيف
بثنتان يستن الوشاح عليهما * وبطن كطي الساري لطيف

وأنشد له في مثل ذلك أيضا

بثينة قالت يا جميل وسودت * مجال القذى منها بثينة بالكحل
أتصرم حبلي يا جميل وقادني * اليك الهوى قودا الجنيبة بالحبل
وقالت لقينا ما لقيت من الهوى * فامس رأسي من دهان ولا غسل

(قال علي بن المغيرة) كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج بن يوسف لابيه وأمها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تتخلل بكرة فقال لها أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء لقد جشعت وتهمت وان كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت فقالت قبح الله الذواق المطلاق ولا بعد الله غيرك والله ما هو الذي ظننت ولكنه استمسك بين اسناني شظية من السواك وكان سبب قول المغيري فيها ان أباها يوسف بن الحكم مرض فكان يزيد بن معاوية يتولاه صدقات الطائف وأرض الشراه فنذرت ان الله عافاه ان تمشي

الى الكعبة معتمرة من الطائف وبين الطائف ومكة يومان وليلتان فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوما وكانت جميلة وسيمة فلقيها النميري وهو محمد بن عبد الله بن غير الثقفي ببطن نعمان فقال

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * بزينب في نسوة عطرات
تهادين ما بين المحصب من منى * وأقبلن لاشعثا ولا غبرات
مررن بفج راتحات عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات
لها أرج بالعنبر الورد فاغم * تطلع رياه من الفسترات
يخبين أطراف البنان من التقى * ويمشين شطر الليل معتمرات
وليست كأخرى أوسعت جنب درعها * وأبدت بنان الكف للجمرات
ومالت ترا آي من بعيد فافتنت * برؤيتها من راح من عرفات
تقسم لي يوم نعمان انني * بليت بطرف قاتك اللحظات
يظاهرن أستارا ودورا كثيرة * ويقطعن دون الدور بالجمرات
ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكن من ان تلقينه حذرات
دعت نسوة مثل العرائس كالدما * أوانس مل العين كالظبيات
فابدين لما لقين بجيبن زينبا * بطونا لطاف الطي مضطمرات
فقلت بعاقير الظباء تناولت * يناع غصون الورد مهتصرات
فلم ترعيني مثل ركب رأيته * خرجن من التعمير معتمرات
وكدت اشتياقا نحوها وصبابة * تقطع نفسي اثرها حسرات
وغادرت من وجدي بزينب غمرة * من الحب ان الحب ذو غمرات
وظل صحابي يظهرون ملامتي * على لوعة الاشواق والزفرات
فراجعت نفسي والحفيظة انما * يلام الرداء الغصب بالعبرات
وقد كان في عصياني النفس زاجر * لذي عبرة لو كن معتبرات

(قال مسلم بن جندب الهلالي) كنت مع عبد الله بن الزبير بنعمان وغلام ينشد خلفه وهو يشمه أقبح الشتم فقلت له ما هذا فقال دعه فاني تشبيت باخت هذا الحجاج بن يوسف فلما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دعا الناس

للبيعة فتأخر محمد حتى قام في آخر الناس ولم يجد من الحضور بدا فلما دنا منه قال أمحمد قال نعم قال أنشدني ما قلت فأنشده قصيدته في هذه فقال لولا ان يقول قائل لضربت عنقك انج لا نجوت ولا تعد فقال لا تعرضت لاسم زينب ما بقيت قال ولما خاف النميري من الحجاج عاذ بابنه يوسف بن الحكم فلما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير قام اليه يوسف بن الحكم وقال له يا أمير المؤمنين ان فتى مناد كر زينب بما يذكر به العربي ابنة عمه وقد علمت ان هذا لم يزل يتقلب عليه قال عبد الملك أليس النميري قال بلى قد سمعت شعره فما سمعت مكروها ثم أقبل على الحجاج وقال لا تعرض له ويقال ان عبد الملك لما بلغه شعر النميري كتب الى الحجاج قد بلغني ما حكان من قول النميري فلا تدنه فتقطعه ولا تقصه فتغره ولكن أهمله والله عنه فلم يجبه الحجاج ومن قوله فيها

تشتو بمكة نعمة * ومصيفها بالطائف
أكرم بتلك مواقفا * وبزينب من واقف

ومن شعره فيها أيضا

وما أنس من شيء فلا أنس شاديا * بمكة مكحولا أسيلا مدامعه
تشير به لون الزاز في بياضه * أو الزعفران خالط المسك أدرعه

(قال الزبير بن بكار) حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال خرجت الى الشام فلما كنت بالسهباء ودنا الليل رفع لي قصر فاهويت اليه فاذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسنا وجمالا فسلمت فردت علي السلام قالت ممن أنت قلت من بني أمية قالت مرحبا بك انزل فأنا امرأة من أهلك فأنزلتني أحسن منزل وبت أحسن مبيت فلما أصبحت قالت ان لي اليك حاجة قلت ما هي فأشارت الى دير وقالت ان في ذلك الدير ابن عمي وهو زوجي وقد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدير فمضى اليه وتعظه فخرجت حتى انتهيت الى الدير فاذا برجل في فنائه من أحسن الرجال وأجلهم فسلمت عليه فرد وسأل فاخبرته من أنا وأين بت وما قالت المرأة

فقال صدقت أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم ثم صاح
ياقسطا فخرجت اليه نصرانية عليها ثياب حبرات ورثاثير ما رأيت قبلها
ولا بعدها أحسن منها فقال هذه قسطا وتلك أروى وأنا الذى أقول
وبدلت قسطا بعد أروى وحبها * كذلك لعمرى يذهب الحب بالحب
وماهى اماذكرها بنطيبه * كبدر الدجى أوفى على غصن رطب
(قال الزبير بن بكار) حدثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبى
عبيدة بن المنذر بن الزبير عند أبى بكر بن عبد الرحمن من محرمه وكان
يخدمها وكانت ذات مال ولا مال له وكانت تضن عنه فخرج يريد الشام
يطلب الرزق فلما كان ببعض الطريق رجع فربح بجلسائه بالمصلى فقالوا
زاد خير ثم دخل عليها فقالت له أبخير رجعت فقال لها

بينما نحن من بلا سكت فالقا * ع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذك * راك فاستطاع مضيا
قلت لبيك اذ دعانى لباك الشو * ق وللحادبين حب المطيا

فقالت له لاجرم والله لاشاطرنك مالى فشاطرته اياه ولم تدعه للسفر بعد
(ابراهيم بن حسن بن يزيد) عن شيخ من سا كنى العقيق قال انى لواقف
بالعقيق وقد جاء الحاج اذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة فنظرنا
اليها فاعجبنا حالها فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز
ابن مروان عدلت الينا ونحن ننظر فنزلت ودخلت قصرا من تلك القصور
فأقامت فيه ساعة ثم خرجت فركبت ومضت وان عينيها لينفطان
دموعا فقلت لانظرن ما صنعت هذه المرأة فدخلت القصر فاذا كتاب
يواجهنى فى الجدار فقرأته فاذا هو

أليس كفى حزنا لذى الشوق ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا
بلى ان ذا الشوق الموكل بالهوى * يزيد اشتياقا كلما طول الصبرا

وتحته مكتوب وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز وكان سفيان بن
عاصم زوجها فتوفى عنها (ذكروا) عن عائشة رضى الله عنها انها لما قدمت

البصرة خطبت وبحضرتها الاحنف بن قيس وموسى بن طلحة ورجال من وجوه العرب فقالت بعقب ذلك انى أتيت أطلب بدم الامام المذكور حرمته الحرمات الاربع فمن ردنا عنه بحق قبلناه ومن ردنا عنه بباطل قاتلناه فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين قال لها موسى بن طلحة قد فهمنا كلامك فما الاربع حرمات فقالت حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الامامة وحرمة الختونة لا يصلح أمر امرأة بعده أبدا فقال لها الاحنف رحمه الله انى سائلك ومغلظ لك فى المسئلة فلا تجدين على أعندك عهد من رسول الله فى خروجك هذا قالت لا قال لها أفعندك عهد من رسول الله انك معصومة من الخطا قالت لا قال لها صدقت ان الله رضى لك المدينة فأبيت الا البصرة وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت بيت الحرسة الضبى ألا تخبرينى يا أم المؤمنين أللحرب قدمت أم للصلح قالت بل للصلح فقال لها والله لو قدمت بينهم الا الخفق بالنعال والقذف بالحصباء اصطلحوا على يديك فكيف والسيوف على عواتقهم قالت لقد استغرق حكم الاحنف هجاء ابى الى الله أشكو عقوق أبنائى (ذكروا) انه لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وأسر من معه أمر بضرب رقابهم فقال رجل منهم أيها الامير انى أتيت اليك بشئ قال وما هو قال انى كنت جالسا وما عند عبد الرحمن فأخذ فى عرضك فناصلته عنك قال ومن يشهد لك بذلك فقام رجل من الجماعة يشهد له بما قال فقال اتركوه ثم قال للرجل أفلا كنت مثله قال له بغضى فيك لم يدعنى أتكلم فيك بمثل ذلك فقال واتركوا هذا الصدقه ثم قام رجل آخر فقال أيها الامير لئن كنا أسأنا فى الخطا لما أحسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما والله لو كان فيكم من يتكلم والله ما قتل منكم أحد

﴿باب يذكر فيه من صيره العشق الى الاختلاط والجنون﴾

(قال بعضهم) مررت بقبور لك المجنون وقد أتاه أهله بطبيب يقال له عبد العزيز ليعالجه فسلمت وقلت ما خبرك يا أبا محمد فقال خبرى والله مع

هؤلاء المجانين ظريف أنا عاشق وهم يظنون فى جنة وقد أتونى بهذا الطبيب ليعالجنى ثم أنشأ يقول

أتونى بالطبيب فعالجونى * على ان قيل مجنون غريب
طبيب الاجر فيه عساه يوما * من الايام يعقل أو يتوب
وما صدقوا الفتى محويه قلبى * أجل من ان يعالجه الطبيب
ومالى جنة لكن قلبى * به داء تموت به القلوب
وما عبد العزيز طبيب قلبى * ولكن الطبيب هو الحبيب

وقال آخر مررت بمجنون بيده قصبة وفيها عذبة وهو يقول

اذا ما رايتى رفعت بنجد * تلقاها عرابة باليمين

قال فأخذت بيد الغلام الذى كان يتعشقه فوقفت بين يديه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال فى ساعة بديهة

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك تحوى غير مائقة * متصرفا عن غير منحرف
يا من أطال بصدة أسفى * كفى عليك أشد من أسف

(وقال بعضهم) اجتزت بغورنة المجنون وهو فى جماعة من الصبيان راكب قصبة وهو يقول من كان عاشقا منكم فليقف فى الميمنة ومن كان معشوقا فليقف فى الميسرة ووقف هو فى القلب فتفكر وقال

الى من أشتكيك الى من * الى كم ترى فى قصتى غير محسن
الى كم يدوم الهجر والعتب بيننا * سألتك بالرحمن الا رحمتنى
فيالاعمى فى أحمد لو رأيته * لما التمسنى فى حبه وعذرتنى
أتعجب ان قالوا بغورك جنة * بنفسى ومالى من هواه أجننى

ثم قال احملوا على بركة الله فحملت الميمنة على الميسرة وأخذ كل عاشق معشوقه (قال) ولقيته فى يوم خميس فى جماعة من الصبيان منصرفا من تشييع غلام كان يحبه وهو يحدثهم ويلطم خده ويقول ما أحر الفراق فقلت يا أبا محمد من أين أقبلت قال من تشييع الحاج وبكى وقال

هم رحلوا يوم الخميس عشية * فودعتهم لما استقلوا ودعوا
فلما تولوا ولت النفس معهم * فقلت ارجعي قالت الى أين أرجع
الى جسد مافيه لحم ولا دم * ولا فيه الا الاعظم تتقعقع
وكذبت فيك الطرف والطرف صادق * وأسمعت أذني فيك ما ليس أسمع

قال الحسن بن رفاعة رأيت علوية المجنون يوما وفي عنقه حبل والصبيان يجرونه فلما رآني قال يا أبا علي عاذا يعذب الله أهل الجرائم يوم القيامة قلت بأشد العذاب قال فانا والله في أشد من عذابه ولو عذب الله أهل جهنم بالحب والهجر والرقباء لكان أشد عليهم ثم قال

انظر الى ماصنع الحب * لم يبق لي جسم ولا قلب
أنحل جسمي حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حب من * من دونه الاستار والحجب

قال وحضرته وقد أتوه بطبيب يعالجه والطبيب يعاتبه ويقول له لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ فقال في ذلك

أنا منك أعلم أيها المتكلم * ما بي أجل من المجنون وأعظم
أنا عاشق فان استطعت لعاشق * برأ منت به وأنت محكم
هيهات أنت لغير ما بي عالم * وسواك بالداء الذي بي أعلم
داء دسيس قد تضمنه الهوى * تحت الجوانح ناره تتضرم

قال ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكرا فقلت ما خبرك فقال

أقول بأعلى الصوت ما بي جنة * وما بي الا حب من ليس ينصف
وما بي جنون غير أن بليتي * اذا انكشفت منه أرق وألطف
بنفسي وأهلي من أرى الموت جهرة * اذا ما بدا منه البنان المطرف

قال وكان فورك يتعشق غلاما يسمى غلبا فأتاه بعض اخوانه فقال اني خارج نحو غلب فهل من حاجة فقال

نعم أوصيك ان أبصرت غلبا * فقبل وجنتيه وان تأبى

وقل هذى وصية مستهام * اليك قتلته شغفا وحبا

(ودخل) مهدى على بعض ولاة اليمامة فسأله الوالى عن مجلسه مع ظبية واستنشده ماقال فيها من الشعر وكان ابن ظبية حاضرا فانشده مهدى بيتين يصفها فيهما بالعفاف فقام ابنها فنزع عن نفسه جبة خز ووشاحا وألقاهما على مهدى لما وصف أمه بالعفاف (قال أحمد بن يحيى) كان القيطنون متملكا على أهل المدينة وكان قد سامهم خسفا وشرط عليهم أنه لا تدخل امرأة على زوجها حتى يبدأ بها فتزوج مالك ابن عجلان الخزرجى أخته فلما جهزها وأراد اهداءها الى زوجها وهو قاعد فى مجلس الخزرج اذ خرجت أخته على الحى سافرة فغضب مالك ووثب اليها ليتناولها بالسيف وقال لها فضحتينى ونكست رأسى وأغضضت بصرى فقالت له الذى تريدنى أنت شر من هذا وأقبح وأفضح ان كنت تهدينى الى غير بعلى فيصيبنى فهذا شر من خروجى سافرة حاسرة فقال مالك صدقت وأبيك وسكت عنها فلما رجعت الى خدرها دخل اليها فقال لها هل فيك من خبر فقالت فأى خبر عند امرأة الا أن تنال فقال لها اكفينى ما أريده قالت نعم فشرح لها ما عزم عليه فلما أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها فلبست وتعطرت وتحلت ولبس معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها فى جملة نسائها الى قصر القيطنون فلما خلا بها فى مشربة له ودنا منها تنحى نساؤها عنها الا مالك وحده فقالت للقيطنون بحق التوراة الا أمهلتنى ساعة حتى ترجع نفسى فيها الى وتركت أختى هذه تؤانسنى عندك فانى ألفتها من بين أهلى فقال نعم فلما هدأت ساعة قال تقدمى الى فراشك حتى ألحقك فقام القيطنون الى باب مشربته فاغلقه وأتى فراشه وكشف مالك عن السيف ثم ضربه به حتى برد فاجتمع الحيان من الاوس والخزرج فسودوه على أنفسهم وملكوه اذا راحهم من عار الدهر وذلت اليهود بعد ذلك فلم ترفع رأسا (قال الزبير بن بكار) كان عبد الرحمن بن أبى عمار من عباد أهل مكة فسمى القس من عبادته فر

ذات يوم بدار سهل بن عبد الرحمن بن عوف مولى سلامة الزرقاء وهى تغنى فسمع غناءها فبلغ منه كل مبلغ فرآه مولاها وتبين ما لحقه فقال له هل لك أن تدخل اليها وتسمع منها فامتنع وأبى فقال له أنا أقعدك فى موضع تسمع من غنائها ولا تراها ولا تراك ولم يزل به حتى دخل وسمع غناءها فاعجبه فقال له هل لك أن أخرجها لك فامتنع بعض الامتناع ثم أجابه فاخرجها اليه وأقعدها بين يديه وغنته فشغف بها وشغفت به وكان أديبا ظريفا واشتهر أمره معها بمكة حتى سموها سلامة القس وخلا معها يوما فقالت له أنا والله أحبك فقال لها وأنا والله كذلك قالت له أحب أن أضع فمك على فى قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك فوالله ان الموضع لخال فقال لها ويحك انى سمعت الله عز وجل يقول فى كتابه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره أن تكون خلة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها وعاد الى الطريقة التى كان عليها من النسك والعبادة وكان يمر فى بعض الايام ببابها فيرسل اليها بالسلام فيقال له ادخل فيأبى وقال فيها أشعارا كثيرة وغنته بها فمنها

ان التى طرقتك بين ركائب * تمشى بزهرها وأنت حرام
باتت تعللنا وتحسب اننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيام
حتى اذا سطع الصباح لناظر * فاذا الذى ما بيننا أحلام
قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب بما تأتى به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما * طرق الضلالة والهدى أقسام

﴿ومنها قوله﴾

على سلامة القلب السلام * تحية من زيارته لمام
أحب لقاءها وألوم نفسى * كأن لقاءها شئ حرام
اذا ما حن مزهرها اليها * وحنت نحوه أذن الكرام
فدوا نحوها الاعناق حتى * كأنهم وما ناموا نيام

وله فيها أشعار كثيرة تركت ذكرها ههنا لانها مستقصاة من أخبارها في كتاب طبقات المغنين (قال) وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان فلما دخلتا عليه انحرف الى عزة وقال لها أنت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية قال أتروين قول كثير فيك

لقد زعمت اني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي ياعز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالتي * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت لست أروي هذا ولكني أروي غيره حيث يقول

كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو يمشي بها الصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بحيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

ثم عطف على بثينة فقال لها ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النساء كلهن قالت الذي رأى فيك الناس حين جعلوك خليفة من بين رجال العالمين فضحك حتى بدت سن له سوداء كان يخفيها وأجزل جائزتهما وقضى حوائجهما ﴿ وقال محمد بن يحيى المدني ﴾ سمعت عطاء يقول كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولا كاملا يفرح ان رأى من رآها وان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار فاليوم يشير اليها وتشير اليه فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه ﴿ وحكى أبو الحسن المدائني ﴾ قال هوى بعض المسلمين جارية بمكة فأرادها فامتنعت عليه فانشدها

سألت الفتى المكي هل في تزاور * وقبلة مشتاق الفؤاد جناح
فقال معاذ الله أن يذهب الهوى * تلاصق أكباد بهن جراح

فقالت له بالله انك سمعته وسألته فاجابك بهذا الجواب قال نعم فزارته وجعلت تقول اياك أن تتعدى ما أمر لثبه عطاء ﴿ وروى ﴾ عبد الرحمن بن نافع ان أبا هريرة سئل عن قول الله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فقال هي النظرة والغمزة والقبلة وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب مرة ثم لا يعود وباسناده عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال له اني أخذت امرأة في البستان فاصبت منها كل شيء الا اني لم أنكحها فاصنع ماشئت فسكت عنه صلى الله عليه وسلم فلما ذهب دعاه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات الآية فقيل لاعرابي ما كنت تصنع لو ظفرت بن تهوى قال كنت أمتع عيني من وجهها وقلبي من حديثها وأستر منها ما لا يحبه الله ولا يرضى بكشفه الا عند حله قيل فان خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك قال أكل قلبي الى حبها ولا أصير بقبيح ذلك الفعل الى نقض عهدها ويروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل طالبته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما تسر يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وعن عبد الملك بن قريب الاصمعي قال بصرت الزباء بعمرو بن أبي ربيعة وهو يطوف بالبيت فتذكرت له وفي كفها خلوق فمسحته بثوبه فقال

أدخل الله رب موسى وعيسى * جنة الخلد من ملاني خلوقا
مسحت كفها بجيب قميصي * حين طفنا بالبيت صحارقيقا
لو تجازى القلوب بالود أمسى * قلبها ما أسلا الي مشفيقا

فنظر اليه عبد الله بن عمر في تلك الحالة ينشد الابيات فقال ما هذا زي المحرم وما يحل للمحرم ان يقول مثل هذا القول في هذا الموضع فقال يا أبا عبد الرحمن قد سمعت مني ما سمعت فوربهذه البنية ما حللت ازاري على حرام قط قال الهيثم بن عدي دخلت ليلى بنت عبد الله الاخيلية على الحجاج وعنده وجوه الناس وأشرافهم فاستأذنته في الانشاد فاذن لها فانشدته قصيدة مدحته بها فلما فرغت من انشادها قال الحجاج لجلسائه أتدرون من هذه الجارية قالوا لا نعلم أصلح الله الامير

ولكنا لم نر امرأة أكمل منها كمالا ولا أجمل منها جمالا ولا أطلق لسانا ولا أبين بيانا فمن هي قال هذه ليلى الاخيلية صاحبة توبة بن الحمير الذي يقول فيها

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها

ثم قال لها يا ليلى ما الذي رابه من سفورك حيث يقول

وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها

قالت أصلح الله الامير لم يرني قط الا متبرقعة وكان أرسل الي رسولا انه لم يوافقني الحي لرسوله فاعتذرت له وكتبوا وفطنت لذلك فلم يلبث ان جاء فألقيت برقعي وسفرت له فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر فلم يرد أن يسلم علي وسأل عن حالي وانصرف راجعا فقال الحجاج لها لله درك فهل كانت بينكما ريبة قالت لا والذي أسأله أن يصلحك الا انه قال مرة قولا ظننت انه خضع لبعض الامر فقلت له مسرعة هذا الشعر وأنشأت وهي تقول

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

فلا والذي أسأله صلاحك ما كلمني بشيء بعدها استرابته حتى فرق الدهر بيني وبينه (قال أبو عثمان قد ترى الاعرابي وظاهره ظاهر الجفاء فما هو الا أن يعشق حتى تجده أرق من الماء وألطف من الهواء ومع ذلك يلقى أحدهم عشيقته فيترشفها ويعانقها من دون الثياب ويمنعه التكرم ويحجزه الورع عن وطئها وان أمكنته قال ابن هرمة

ولرب لذة ليلة قد نلتها * وحرامها لحلالها مدفوع

ويقتصرون على الحديث والقبل واللمس (قال العتبي) قيل لبعض الاعراب ما الذي ينال أحدكم من عشيقته اذا خلا بها قال اللمس والقبل والحديث قال فهل يطؤها قال بابي أنت وأمي ليس هذا عاشقا هذا طالب ولد (قال) وكان الشرط بين العاشق ومعشوقه اذا خلوا ان يكون له نصفها الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ولها

من سرتها الى أخمصها وأنشد ابن الاعرابي في مثل ذلك

فللنحل شطر مطلق من عقاله * وللبعل شطر ما برام منيع

وأنشد عمرو بن العلاء في نحوه

لها نصفان من حل وبل * ونصف كالبعيرة ما يهاج

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ونصفها الآخر عليه كالبعيرة فانها كانت في الجاهلية حراما لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلأ ولا ماء وأنشد الاصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته

فهل لك في البدال أبا زنيم * وأقنع بالا كارع والعجوب

قال ابراهيم بن يسار النظام قد يمكن الرجل ان يحتجر عن ذلك ما دام ليس له هنالك الا الحديث والقبلة فاما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلا بد ان ينعظ وينشط واذا أنعظ وهو في الازار معها انتقض العزم كما قال عبد الرحمن بن أم الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم ابان

ترى شاربيها حسين يعتورانها * يميلان أحيانا ويعتدلان

فما طن ذا الواشي بابيض ماجد * وبيضاء خود حين يلتقيان

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

دعتني أخاها بعدما كان بيننا * من الامر ما لا يفعل الاخوان

(وقد ذكرنا) ان أهل طبرستان لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر بها حولا كاملا محرما ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ثم يتزوج بها ويزعمون مع ذلك انهم يجدونها بكرا وقد عانقها في ازار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب الا من عشق غالب ولا يجوز ان تؤاتيه الجارية الا وبها شبه الذي به وان من عجب العجب ان يكونا متعانقين في لحاف واحد ثم يحتجران عن الزنا تكرما وتحرجا وهذا النكرم عند علوج طبرستان من العجائب * ومن قول سهيل بن هرون ثلاثة من المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان

والعربان والسكران فقال له أبو عبد الله انطلق والمنعظ يا أبا عمرو فقال والمنعظ وضحك وأنشد

وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصطبينا

﴿قال الاصمعى﴾ كان فتى من ثقيف شديد الحياء كريما أديبا فبيناهو جالس اذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك ان قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هى وأين تريد وقد كلف بها واشتد عشقه لها فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فاذا هى امرأته فضاق به الامر ولم يدر ما يصنع وكتم شأنه وجعل ما به يزداد كل يوم حتى نحل جسمه فانكر شأنه أخوه وأهله وسألوه عما به فلم يخبرهم بشئ من أمره فدعا أخوه الاطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيأ فلما أعياهم ما به وزاد سقمه حمله أخوه الى الحرث بن كلدة وكان من أطباء العرب فنظر اليه الحرث فلم ير به داء ينكر غير انه ظن انه عاشق فخلا به الحرث فسأله فابى أن يقر له بشئ فلما أعيا الحرث جعل يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم والفتى ملقى بين يديه كلما سمى امرأة منهم نظر الحرث وجسه المريض حتى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفس واغرورقت عيناه بالدموع فعلم الحرث أمره وقال لاخيه اذهب فجئنى بجميع أهلكم ولا يتخلف عنى أحد منهم امرأة ولا رجلا فانى قد وقعت على دائه فخرج اخوه حتى أتى أهله فجمعهم فى منزل ونقل الحرث المريض اليهم وقال لا يغيبن عنه منكم امرأة ولا رجل فلما نظر الرجل الى امرأة أخيه خف عنه بعض ما كان يجده فعرف الحرث ذلك منه فامر بشاة فذبحت وأخرج كبدها فوضعها على النار ثم أطعمه منها فاكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه وفعل ذلك به أياما يزيده فى كل يوم شيأ قليلا فى مطعمه ومشربه فحسنت حاله ورجع اليه بعض جسمه فلما رأى الحرث انه قوى بعض القوة صنع له طعاما وهيأ له شرابا ثم أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا وأمر الحرث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه وقال احفظ حديثه وكل ما يتكلم

به وحدثه كل حديث تعرفه فى العشق وأخبار العشاق وأشعارهم فلما أخذ الشراب فى الفتى تغنى

أهل ودى ألا اسلموا * وقفوا كى تكلموا
أخذ الحى حظهم * من فؤادى وأنعم
فهمومى كثيرة * وفؤادى متيم
وأخو الحب جسمه * أبدا الدهر يسقم

فلما أصبح الحرث دعا الموكل بالفتى فسأله فعرفه بكل شئ تحدثه وأنشد الابيات التى تغنى بها فدعا أخاه فعرفه أنه عاشق لامرأته فقال له يا أخى أنا أنزل لك عنها وتتزوجها فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هاربا على وجهه فلم يقفوا له على خبر الى اليوم فسمى فقيد ثقيف ﴿وروى﴾ نافع مولى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ثلاثة نفر يمشون اذ أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحط عليهم من الجبل صخرة فانطبقت عليهم فقال بعضهم انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها فدعوا الله تبارك وتعالى فقال أحدهم اللهم انك تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وامرأة وصبيان فكنت أرعى عليهم فاذا رحت اليهم حلبت وبدأت بوالدى أسقيهما قبل بنىّ وانى لم آت يوما حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما فجعلوا يتضاغون تحت قدمى فلم يزل ذلك دأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله له فرجة وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كانت لى ابنة عم فاحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم انى

فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرّج الله جل ثناؤه فرجة وقال الآخر اللهم انك تعلم انى استأجرت أجيرا فلما قضى عمله قال اعطنى حقى فاعرضت عنه وتركته ثم اشتريت بحقه بقرا وراعيها فجاءنى بعد حين فقال لى اتق الله ولا تظلمنى واعطنى حقى فقلت له اذهب الى تلك البقر وراعيها فخذ ذلك فقال لى اتق الله ولا تستهزئ بى فقلت انى لا أستهزئ بك فخذ تلك البقر وراعيها فاخذها وذهب فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرّجها الله عنهم ﴿قال الاصمعى﴾ قلت لاعرابية من بنى عذرة أنتم أكثر الناس عشقا فما تعدون العشق فيكم قالت الغمزة والقبلة والضمة ثم قالت

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * وان نكح الحب فسد

ثم قالت وأنتم يا حضر كيف تعدون العشق فيكم قلت نقعد بين رجليها ويجهد نفسه فقالت يا ابن أخى ما هذا عاشقا هذا طالب ولد ﴿وقال﴾ عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان أصل العبادة اجتناب المحارم وأداء الفرائض ﴿وروى﴾ عن عبد الرحمن بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلت المرأة خمسها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت الجنة ﴿عرض﴾ الحجاج سجنه يوما فاتى برجل فقال له ما كان جرمك قال أصلح الله الامير أخذنى العسس وأنا مخبرك بخبرى فان يكن الكذب ينجى فالصدق أولى بالنجاة فقال ما قصتك قال كنت أخا رجل فضرب الامير عليه البعث الى خراسان فكانت امرأته تجدنى وأنا لا أشعر فبعثت الىّ يوما رسولا فدخل كتاب صاحبك فهم فقرأه فمضيت اليها فجعلت تشغلنى بالحديث حتى صلينا العشاء ثم انها أظهرت لى ما فى نفسها ودعتنى الى السوء فأبيت ذلك فقالت والله لئن لم تفعل لاصيحن ولاقولن انك لص فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هاربا وكان القتل أهون على من خيانة أخى فلقينى عسس الامير فاخذونى فانا أقول متمثلا

ربة بيضاء ذات دل وحسن * قد دعتني لو صلها فابيت
لم يكن شأني الفراق ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعرف صدق حديثه وأمر باطلاقه ﴿ قيل لبعض الاعراب ﴾ وقد طال عشقه لجارية ما أنت صانع لو ظفرت بها ولا براكما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها حديث يطول ولفظ كليل وترك ما يكرهه الرب وينقطع به الحب ﴿ قال محمد ابن عبيد الله الزاهد ﴾ كانت عندي جارية فبعتها فتبعتها نفسي فصرت الى مولاها مع جماعة اخوانه فسألوه أن يقيلني ويرجع على ما شاء فابى فانصرفت من عنده مهموما مغموما فبت ساهرا لا أدري ما أصنع فلما رأيت مابي من الجهد كتبت اسمها في راحتي واستقبلت القبلة فكل ما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي الى السماء وقلت يا سيدي هذه قصتي حتى اذا كان في السحر من اليوم الثاني اذا أنا برجل يدق الباب فقلت من هذا فقال أنا مولى الجارية ففتحت واذا بها فقال خذها بارك الله لك فيها فقلت خذ مالك والربح فقال ما كنت لآخذ منك دينارا ولا درهما فقلت فلم ذلك قال أتاني الليلة في منامي آت فقال لي رد الجارية على ابن عبيد الله ولك الجنة ﴿ وكان ﴾ عبد الرحمن بن أبي عمار فقيه أهل الحجاز قدم بخناس معه فتيات فنظر اليهن فتعلق بواحدة منهن فاشتد وجده بها واشتهر بذكرها حتى أتى اليه عطاء ومجاهد يعذلونه فلم يكن جوابه الا ان قال

يلومونني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطال اللوم أم قصرا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فخرج حاجا بسببه وبعث الى مولى الجارية واشتراها منه بأربعين ألفا وأمر قيمة جواريه فحلتها وزينتها وبلغ الناس قدومه فدخلوا اليه للسلام عليه وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمار فلما أراد الشخوص استجلسه فقال له ما فعل حب فلانة قال مشوب باللحم والدم والمخ والعظم والعصب وأمر بالجارية فاخرجت اليه وقال

هي هذه قال نعم أصلحك الله قال اذا اشتريتها لك فوالله ما دنوت منها فشأنك بها فهي لك مبارك وأمر له بعمامة ألف درهم وقال له خذ هذا المال لئلا تهتم به وتهتم بك قال فبكى عبد الرحمن فرحا وقال يا أهل البيت قد خصكم الله بأشرف ما خص به أحدا من صلب آدم فلتهنكم هذه النعمة وبارك لكم فيها فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبد الله بن جعفر من الجود ﴿وقيل لاعرابي﴾ أتعرف الزنا قال وكيف لا قيل فما هو قال مص الريقة ولثم العشيقة والاخذ من الحديث بنصيب قيل ما هكذا نعده فينا قال فما تعدونه قيل العنق الشديد وان تجمع بين الزبية والوريد وصوت يوقظ النوام وفعل يوجب كثيرا من الآثام قال انا لله ما يفعل هذا العدو البعيد فكيف الصديق الودود ﴿وقيل لآخر﴾ ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تهوى قال كنت أطيع الحب في اتمامها وأعصي الشيطان في آثامها ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميما عاره وينشر قبيحه أخباره في ساعة تفقد لذتها اني اذا للئيم ولم يلدني كريم ﴿وقيل لآخر﴾ ما أنت صانع ان ظفرت بمن تحب قال أحل ما يشتمل عليه الخمار وأحرم ما كفه الازار وأتجر الحب عما يغضب الرب ﴿وقيل للبلي﴾ هذا قيس مات لما به من عشقك قالت ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه قيل لها فما عندك حيلة تخفف ما به قالت صبري وصبره أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴿وقيل لعفراء﴾ وقد بلغها ما نزل بعروة فكادت تبوح بسرها فقيل لها أما عندك له حيلة تخفف ما به فقالت والله لانا أسر بذلك وأشوق اليه منه ولكن لا سبيل الى احتمال العار ودخول النار (وقيل لبلية) بعد موت قابوس ما كان يضرك لو امتعته بوجهك قبل موته قالت منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه غير اني وجدت ستره أبقى لنا لما في الصدر من المودة وأحد للعافية (وقيل) لابنة ملك من ملوك الفرس وقد أجهدها عشق رجل من اساورة أبيها الور وحت عن قلبك بالاجتماع معه كف ذلك من

وجدك

موجدك قالت ان الامر على ما تصفون ولكن ماعذرى اذا هتكت ستري وأظهرت أمري عند من لا يلزمه عاري ويرغمه اشتهاري والله لا كان هذا أبدا ﴿ وحكى ﴾ السري بن المطلب قال كان الحرث بن الشريد يعشق عفراء بنت أحمر فلما عيل صبره كتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * وبي منك في الاحشاء أصدق شاهد
هو الموت ان لم يأتني منك رقعة * تقسم روم لقلبي في مقسام العوائد

فلما وصلت الرقعة كتبت اليه

كفيت الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
فو الله لولا أن يقال تطننا * بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما وصلت الرقعة اليه وضعها على وجهه فلما شم رائحة يدها شهق شهقة فقضى نحبه فقيل لعفراء ما كان يضرك لو روحت عن قلبه وأجبتيه بزورة قالت منعني من ذلك قولك لكن عفراء قد صيت الى الحرث فو الله لاقتلن نفسي اثره من حيث لا يعلم بي أحد الا الله فلحقت به سريعا ﴿ قال العتبي ﴾ عشق كامل بن الرضين أسماء بنت عبد الله بن مسافر الثقفية وهي ابنة عمه فلم يزل به العشق حتى صار كالشن البالي فلما اشتد ما به شكا أبوه الى أبيها فزوجها له فحمل الى دارها وفيه رمق فلما دخل الدار قال أوأنا بموضع تسمع أسماء كلامي قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها يا أسماء قدمات بغصة قالت والله لا موتن بمثلها ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني فيض دكر الريبة وسماجة الغيبة وسقطت في المرض فلما اشتد بها قالت لاخص نسائها صوري لي صورته فاني أحب أن أزوره قبل موتي ففعلت فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها فدفنت مع الفتى في قبر واحد وكتب على قبرهما

يقضي هما ما متعا بهوا هما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

﴿قال العتبي﴾ قال اعرابي لم يكن العشق ضربا من السحر انه لسعة من الجنون ﴿وسئلت﴾ اعرابية عن الهوى فقالت هو الهوان غلط باسمه وانما يعرف ما تقول من أبكته المعارف والطلول ﴿وسئلت﴾ اعرابية عن صفة الهوى فقالت

الحب أوله ميـــل تهيم به * نفس المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت * أو مزحة أشعلت فى القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وأنشد لابى جعفر الطربخى

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهـــوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير
انما الحب والهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

﴿وقال اعرابى﴾ ان الصبر على الهوى أشد من الصبر على البلاء كما ان الصبر على المحبوب أشد من الصبر على المكروه ﴿ولام بعض الحكماء﴾ على الهوى فقال لو كان الذى هوى اختيارا لاختار ان لا أهوى وأشد لمجنون ليلى

أصلى فلا أدرى اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
أرانى اذا صليت أقبلت نحوها * بوجهى وان كان المصلى ورائيا
وما بى اشـــراك ولكن حبها * وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

وأنشد لابى العتاهية

لا بارك الله فيمن كان يخبرنى * ان المحبين فى لهو ولذات
لو نقة تأخذ الانسان واحدة * خير له من لقاء الموت مرات

﴿وأنشد لاعرابى﴾

وللحب أغصان تراها نضيرة * وفى طعمها للعاشقين نعاف
رأيت المنايا فى عيون أوانس * تقتل أرواحا وهن ضعاف

﴿وأنشد﴾

رأيت الحب نيرانا تلظى * قلوب العاشقين لها وقود
فلو كانت اذا فنيت تفنت * ولكن مثل ما كانت تعود
كأهل النار اذ فنيت جلود * أعيد من الشقاء لهم جلود

﴿وركبت﴾ سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم مع جواريها فمرت بعروة بن اذينة الليثي وهو في فناء قصر ابن عتبة فقالت لجواريها من الشيخ فقلن لها عروة فعدلت اليه فقالت له يا أبا عامر تزعم انك لم تعشق قط وأنت تقول

قالت وابتثها وجدي فبحت به * فذكرت عندي تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطي هواك وما ألقى على بصري

كل من ترى حوالي من جواري أحرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط ﴿وأما أهل الدعاوى الباطلة﴾ التي ليست أجسامهم بناحلة ولا ألوانهم بحائلة ولا عقولهم بذاهبة فهم عند ذوي الفراسة يكذبون وعند ذوي الطرف محرومون فمن ذلك ما روي ان العباس بن الاحنف قال بينما أنا أطوف اذ بثلاث جوار أتراب فلما أبصرنني قلن هذا العباس ودنت الي احداهن فقالت يا عباس أنت القائل

ماذا لقيت من الهوى وعذابه * ظلمت علي بليه من بابه

قلت نعم قالت كذبت يا ابن الفاعلة لو كنت كذلك كنت كأنا ثم كشفت عن أشاجع معراة من اللحم فانشأت تقول

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * فاني أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا الحب حتى يلزق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

﴿ومن ذلك﴾ ما روي عن ابراهيم بن المهدي قال دخل علي المأمون فقال بالله يا عم هل عشقت قط فقلت نعم يا أمير المؤمنين وأنا الساعة عاشق قال وأنت على هذه الجثة والجسم الكبير عاشق فانشأ يقول

وجه الذي يعشق معروف لانه اصفر منحول
الى ان قال

ليس يمن تلقاه ذا * جثة كأنه للذبح معلوف

﴿فاجابه ابراهيم﴾

وقائل لست بالمحب ولو * كنت محبا لذبت منذ زمن

أحب قلبي ومادري بدني * ولو درى ما أقام في السمن

وهذان قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز ادعاؤهما على ذوي المعرفة والنظر وقول ابراهيم أحب قلبي ومادري بدني من كثرة المحال ان يتعلق القلب لسبب فيسلم الجسم منه على حال ولكنه لاستحيائه من ادعائه اعتذر ففج في اعتذاره وأنشد في بعض المشايخ

وقائلة مابال جسمك لايرى * سقيما واجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبي بحبك لم يح * لجسمي بجسمي بالهوى ليس يعلم

والعرب تمدح أهل النحول وتذم أهل السمن والجسوم وتنفيهم عن الادب وتنسب أهل النحول الى المعرفة وحسن البيان وأهل السمن الى الغباوة وبعد الاذهان ﴿زعموا﴾ ان من غلب عليه البلغم غلظ جسمه وكبر شحمه وزاد لحمه وقل فهمه وطال نسيانه وتعقد لسانه لغلبة البلغم على قلبه والرطوبة على لبه ومن كان أغلب مزاجه المرة جف جسمه وقل لحمه وصح ذهنه ودق فهمه وانه يستدل بها على حسن أدب ذوي الالباب وصحة أذهان ذوي الآداب لاتكاد تخطي فيه الفراسة ولا تكذب فيه الدلالة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه وربما أنجب السمن وغاب الهزال ولا يكون ذلك الا في الفرد النادر من الرجال ومن أمثلة العرب في ذلك البطنة تذهب الفطنة ﴿قال علي بن الجهم﴾ لما أفضت الخلافة الى جعفر المتوكل على الله أهدى اليه ابن طاهر من خراسان هدية جليلة فيها جوار منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف وكان لها مولى قد عني بها فبرعت في فنون الادب وأجادت قول الشعر وكانت راوية ظريفة مجيدة للغناء فقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه قال فخرج

علي يوما وقال لي ياعلي دخلت الساعة على فينة وقد كتبت بالمسك على خدها جعفرا فما رأيت أحسن منه فافعل فيه الساعة شعرا فاخذت الدواة والقرطاس فانقفل علي حتى كأني ما عملت بيتا قط فقلت يا أمير المؤمنين لو أذنت لمحبوبة ان تقول شيأ عسى ان يفتح لي فامرها فقالت مسرعة واخذت العود فجسته وصاغت لحنا واندفعت فغنت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسي خط المسك من حيث اثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد اودعت قلبي من الشوق أسطرا
فاعجب لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أمر وأجهرا

قال علي وغضب عليها مرة وكان لا يصبر عنها فامر جواري القصر أن لا تكلمها واحدة منهن فكانت في حجرتها أياما وقد تنغص عيشه لفراقها فبكرت عليه يوما فقال ياعلي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني فقلت خيرا يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وسرك انما هي عبيدتك والسخط والرضا بيدك فوالله انا لفي حديثنا اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة قال فقم بنا ياعلي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب العود وتغني

أدور في القصر لا أرى احدا * أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد اتيت معصية * ليست لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى فصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره فصادمني

قال فصاح أمير المؤمنين وصحت معه فناقته وأكبت على رجله تقبلها فقال ما هذا فقالت يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك صالحتني فتعالت بما سمعت قال فأنا والله قد رأيت مثل ذلك وقال ياعلي ارأيت اعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا الى الموضع الذي كنا فيه واصطلح ومازالت تغنيه هذه الابيات ومنا ذلك وازدادت حظوتها عنده حتى كان من

أمره ما كان فتفرقت جواريه فصارت محبوبة الى الوصيف الكبير فما زالت باكية حزينة فدعاها يوما مع من صار اليه من جواري المتوكل فامرهن بغنائهن ثم أمرها فاستعفته فابى فقال لها لو كان في حزننا فرج لطال حزننا معك وجعل يعود فغنت به

اى عيش يلذني * لا أرى فيه جعفرا
كل من كان ذا غنا * وسقام فقد برا
غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشترى

ومن ذلك ما حكى جميل بن معمر العذري انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا جميل حدثني ببعض أحاديث بني عذرة فانه بلغني انهم اصحاب أدب وغزل قال نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان آل بثينة اتجعوا عن حيهم فوجدوا النجعة عوضع نازح فظعنوا فخرجت أريدهم فبينما أنا أسير اذ غلطت الطريق وأجنني الليل فلاحت لي نار فقصدتها حتى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه الى كهف فيه فسلمت فرد علي السلام وقال انك قد غلطت الطريق فقلت أجل فقال انزل وبت الليلة فاذا أصبحت وقفت على القصد فنزلت فرحب بي واكرمني وذبح شاة وأجج ناره وجعل يشوي ويلقي بين يدي ويحدثني في خلال ذلك ثم قام بازار كان معه فوضع به جانب الخباء ومهد لي محلا خاليا فنمت فلما كان في الليل سمعته يبكي الى شخص كان معه فارقت له ليلتي فلما أصبحت طلبت الاذن فأبى وقال الضيافة ثلاث فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله فانتسب فاذا هو من بني عذرة من أشرفهم فقلت وما الذي جاء بك الى هذا فاخبرني انه كان يهوى ابنة عم له وانه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجه اياها لقلة ذات يده وانه تزوجها رجل من بني كلاب وخرج بها عن الحي وأسكنها في موضعه وانه رضي ان يكون لزوجها راعيا حتى تأتيه ابنة عمه فيراها وأقبل يشكو وقديم عشقه لها وصبابته بها حتى أتى المساء وحان وقت مجيئها فجعل يتقلقل ويقوم ويقعد ثم وثب قائما على قدميه

وانشا

وأنشأ يقول

مابال ميسة لاتأتي كعادتها * أعاجها طرب أوصدها شغل
لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد أحلت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو ان مابي من سقم على جبل * لزال وانهد من أركانه الجبل

ثم قال لي اجلس ياأخا بني عذرة حتى أكشف خبر ابنة عمي ثم مضى فغاب عن بصري فلم ألبث ان أقبل وعلى يديه محمول وقد علا شهيقه ونحيبه فقال ياأخي هذه ابنة عمي أرادت زيارتي فاعترضها الاسد فأكلها ثم وضعها بين يدي وقال على رسلك حتى أعود اليك فغاب عن نظري فابطأ حتى آيست من رجوعه فلم ألبث ان أقبل ورأس الاسد على يديه فوضعه ثم قال ياأخي انك سترانى ميتا فاعمد الى ّ والى ابنة عمي فادرجنا في كفن واحد وادفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في مهل * والشمل يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف ألفتنا * فصار يجمعنا في بطنها الكفن

ورد الغنم الى صاحبها وأعلمه بقصتها ثم عمد الى خناق وطرحه في عنقه فناشدته الله لا تفعل فأبى وخنق نفسه حتى مات فلما أصبحت كفنتهما ودفنتهما وكتبت الشعر كما أمر ورددت الغنم الى صاحبها وأعلمته بقصتها فحزن حزنا خفت عليه الهلاك أسفا على مافرط من عدم اجتماعهما

﴿وقد روى﴾ عن محمد بن جعفر بن الزبير قال كنا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بني عذرة فقال له ياعذري بلغني ان فيكم رقة وغزلا فاخبرني ببعض ذلك فقال لقد خلفت في الحي ثلاثين مريضا ما بهم داء لا الحب قد خامر قلوبهم وان فيه من المرارة والنكد والكمد ما هو مستعذب عند أربابه مستحسن عند أصحابه حلولا تعدله حلاوة ومرا لا تعدله مرارة قال الكميت بن زيد في ذلك

الحب فيه حلاوة ومرارة * سائل بذلك من تطعم أو ذق
ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى أحدا ذاك لم يعشق

﴿وقال آخر﴾

يا أيها الرجل المعذب بالهوى * انى باحوال الهوى لعليم
الحب صاحبه يبيت مسهدا * فيطير منه فؤاده ويهيم
والحب داء قد تضمنه الحشا * بين الجوانح والضلوع مقيم
والحب لا يخفى وان أخفيته * ان البكاء على الحبيب يدوم
والحب فيه حلاوة ومرارة * والحب فيه شقاوة ونعيم
والحب أهون ما يكون مبرح * والحب أصغر ما يكون عظيم

﴿وأنشدنى أحمد بن يحيى﴾

سلنى عن الحب يا من ليس يعلمه * ما أطيب الحب لولا انه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله * فى حالتى ذائقه مر ولا شهد

﴿وأنشد أبو الطيب﴾

سلنى عن الحب يا من ليس يعلمه * عندى من الحب ان ساءلتنى خبر
انى امرؤ بالهوى مازلت مشتهرا * لاقيت فيه الذى لم يلقه بشر
الحب أوله عذب مذاقته * لكن آخره التنغيص والكدر

﴿وذكر ابن عتيق﴾ قال بينما أنا أسير فى أرض بنى عذرة اذ أنا ببيت جديد فدنوت منه فاذا بجوز تعلل شابا قد نهكته العلة وباتت عليه الذلة فسألته عن خبره فقالت هذا عروة بن حزام فدنوت منه فسمعته يقول

من كان من اخوانى باكيا لغد * فاليوم انى أرانى اليوم مقبوضا

فقلت أنت عروة بن حزام قال نعم الذى أقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى
فقالا نعم نشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدرانى
فأتركا من سلوة يعلمانها * ولا شربة الا وقد سقيانى
فقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان

فويلي على عفراء ويلا كأنه * على النحر والاحشاء حز سنانى
فعفراء أصفى الناس عندى مودة * وعفراء عندى المعرض المتوانى
ثم تنهق نهقة توهمت انها اغتسبة فتنحيت عنه ودنت العجوز فوجدته قد قضى نحبه فصبرها حتى دفناه ﴿ وبلغ العشق أيضا بمجنون عامر الى ماذكرناه فى موضعه قال بعضهم سمعت اعرابية تطوف وهى تقول
اللهم مالك يوم القضا وخالق الارض والسما ارحم أهل الهوى وانقذهم من عظيم البلا فانك تسمع النجوى قريب لمن دعا ثم أنشأت تقول
يارب انك ذو منّ وذو سعة * دارك بعافية منك المحينا
الذاكرين الهوى من بعد ما رقدوا * حتى نراهم على الايدى مكبينا
فقلت لها ياهذه أيقال هذا فى الطواف فقالت اليك عنى لا يرهقك الحب فقلت وما الحب فقالت جمل اما يخفى ودق عن ان يرى له كمون ككمون النار فى الجمر ان قدحته أورى وان تركته توارى قال فتبعتها حتى عرفت منزلها فلما كان من غد جاء مطر شديد فمررت ببابها وهى قاعدة مع أتراب لها وهن يقلن لها أضرّ بنا المطر ولولا ذلك لخرجنا الى الطواف فانشأت تقول
قالوا أضرّ بنا السحاب بقطره * لما رأوها بعبرتى تحكى
لا تعجبوا مما ترون فانما * تلك السما لرحمتى تبكى
وقد زعم قوم انه لا ذنب على أهل الهوى ولا وزر على ذوى الضنا وان خطاياهم تمحى عنهم لطول بلائهم وكثرة شقائهم ولما يلقون من القلق ويعانون من الارق ﴿ أبو الحسن المدائنى ﴾ عن الاصمعى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما قال الزبير ابن بكار كان العرجى وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه يعشق أم الاوقص المخزومى القاضى وهى امرأة من بنى تميم فكان يتعرض لها فاذا رأته رمت بنفسها وتسترت منه فمرّ بها يوما وهى

في بعض نسوة وهن يتحدثن فعرفها فاحب ان يراها من قرب فعدل عنها والقى اعرابيا اكبا ومعه لبن رطب فدفع دابته وثيابه واخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ثم أقبل على النسوة فحين بالاعرابي أعندك لبن قال نعم ومال اليهن وجلس يتأمل التحية وينظر أحيانا الى الارض كأنه يطلب شيأ وهن يشربن من اللبن فقالت له امرأة منهن أي شئ تطلب يا اعرابي أضاع منك في الارض قال نعم قلبي فلما سمعت التحية كلامه نظرت اليه وكان أزرق فعرفته وقالت ابن عمرو ورب الكعبة ووثبت فستر رها نساؤها وقلن له انصرف عنا لا حاجة لنا الى لبنك فمضى منصرفا (قال المتبي سمعت اعرابية تقول مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الريح تقلقه ولمعان البرق يؤرقه ورسوم الديار تحرقه والعذل يؤلمه والتذكير يسقمه اذا دنا الليل منه هرب النوم عنه ولقد تداويت بالقرب والبعد فما أنجع فيه دواء ولقد أحسن الذي يقول

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

﴿وقال اعرابي﴾ ان لي عينا دموعا وقلبا مروعا فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه مع ان داءهما دواءهما وسقمهما شفاؤهما ﴿وذكر اعرابي﴾ وجده بامرأة فقال ما ازدادت مني بعدا الا ازددت بها قربا ﴿وذكر اعرابي﴾ امرأة وكان يواصلها في شبابه فقال ما كانت أيامي معها الا كاباهيم القطا قصرا ثم طالت بعدها شوقا اليها وأسفا عليها فاليوم بعدها دهر والساعة شهر ﴿قال أبو بكر بن دريد﴾ كانت امرأة من نظم يقال لها سعدى تهوى ابن عم لها يقال له عيسى فلما خشي أهلها الفضيحة قالوا لها ان نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك فعندها قالت

خليلي ان اصعدتما أو هبطتما * بلادا هوى نفسي بها فاذكرانيا
ولا تدعا ان لامني ثم لائم * على سخط الواشين ان تعذرانيا
فقد شف جسمي بعد طول تجلدي * أحاديث من عيسى تشيب النواصيا
سأرعى لعيسى الود ما هبت الصبا * وان قطعوا في ذاك عمدا لسانيا

﴿وطلق﴾ اعرابي امرأته فقالت لم طلقتني فقال لانك واسعة الثقبة حديدة الركبة خفيفة الوثبة فقالت له وأنت سريع الاراقة بطئ الافاقة ثقيل بين اليدين خفيف بين الرجلين ﴿وطلق﴾ قيس بن الذريح امرأته لبنى فندم على ذلك وقال

فوا كبدي على تسريح لبنى * فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفني الوشاة فازعجوني * فيا للناس للواشي المطاع
فاصبحت الغداة ألوم نفسي * على أمر وليس بمستطاع
كعبون بعض عـلى يديه * تبين غبنه بعد البياع

﴿وتزوج﴾ الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر فلما دخلت عليه نظر اليها وعبرتها تجود على خدها فقال لها بأبي وأمي هم تبكين فقالت من شرف اتضع ومن ضعة شرفت فلما كتب اليه عبد الملك بن مروان بطلاقها قال لها ان أمير المؤمنين أمرني بطلاقك قالت هو والله أبر بي من زوجك اياي فلما مات أبوها لم تبك عليه فقيل لها في ذلك فقالت والله ان الحزن ليبعثني وان الغيظ ليصمتني ﴿وكانت﴾ زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثا فقالت

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أبنك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد ومن كمد * الا وجدت به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه واني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

﴿وكانت﴾ عند رجل امرأة يقال لها أم مالك وكان بها معجبا فأقسمت عليه أمه ان يطلقها فطلقها فذهب عقله وفعل جسمه فحضره الموت فدخلت عليه أم مالك تعوده فلما ولت قال لامه يا عجوز ليهنك فقد ابنك في الدنيا والاثم لك في الآخرة ثم أنشأ يقول

لنا حاجة في آل مروان دونها * من النفر الغر الوجوه قبيل
فمت كمدا ان كان يومك قد أتى * أو اصبر على ما خيلت فقليل

فلما خرجت عنه فاضت نفسه وما وصلت الى منزلها حتى سقطت ميتة

﴿قال ابراهيم بن عتبة﴾ طلق اعرابي امرأته وحمله على ذلك عقله فندم وأنشأ يقول

اذا ذكرت ليلى ترقرق دمعه * كأن لم تكن عين بها قبل قرت
وان ثلاثا منك لو تعلمينه * دنت دون حلو العيش حتى أمرت

﴿أبو العيناء﴾ عن أبي حمزة الغساني قال نزل اعرابي من بني أسد ببيت اعرابية من بني تميم ضيفا فاتته بقرى حاضر وماء بارد فجعل ينظر اليها من وراء الستر ثم راودها عن نفسها فقالت له ياهذا أما يقرعك الاسلام والكرم كل وان أردت غير ذلك فارتحل فقال لها زوجيني اذا نفسك فقالت الاولياء يزوجونك نخاف ان لا يزوجوه للعداوة بين الحيين فانتسب الى بني عذرة فزوجوه فاقام عندهم زمانا ثم علموا انه أسدي فقالوا له والله انك لكفء كريم ولكن نكره ان تنكح فينا وأنت حرب لنا فخلى عن صاحبتنا وكان يحبها حبا شديدا فطلقها وقال

أحبك يا عم حب الحياه * ونيل المنى وبلوغ الوطر
ويعجبني منك عند اللقاء * حياة الكلام وموت النظر
ونائي الجبين شديد البياض * كثيف الجوانب مثل القمر
له وهج كضرام الحريق * يكاد يمزق جلد الذكر

قال ابو ذكوان لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء أحسن من هذا

﴿قال﴾ خرج محمد بن المنتشر الخارجي البصرة في طلب ميراث له وبها نفر من قومه فاقام بها حولا ينشدهم ويحدثهم وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها أحد فقالوا له يا أبا سليمان هل لك في امرأة مناسبة في قومها جمالا وعقلا وعفافا فلو رأيا قد سمعت بقدمك فذكرت لها فزعمت انك طلقت زوجتك التي خلفتها في بلدك فرغبت فيك فان أحببت أقمت عندنا فيما ترى من طيب بلادنا ورخائها وعلينا صداقك وما تحتاج اليه فاقبلوا به وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم وقال في ذلك

أسائل بالعراق فراق سعدى * ولا تبدي ولا يرها الفراق

لئن ريح الفراق لهجر سعدى * على أشد من ريح الفراق
اذا عذلوا أقول لهم لسعدى * حلائق لا يحل لها الطلاق
حرام ان يقول نساء قوم * تركتك أو تحدث بي الرفاق

﴿سمعت اعرابية﴾ تقول لزوجها يا مفلس يا قرنان فقال لها ان كان ما ذكرت حقا فواحدة من الله وأخرى منك يا زانية وأنت طالق ثلاثا ﴿خاصمت﴾ امرأة زوجها فطلقها فقالت له يا هذا لم طلقتني وقد كنت لك ناصحة وعليك شفيقة وما فيّ عيب الا ضيق بجهتي فقال لها ان وجها لو كان الضيق في حرك ما طلقتك أبدا ﴿كانت﴾ لرجل في الاهواز ضيعة بالبصرة وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار فتزوج بها امرأة وانتهى الخبر الى امرأته الاهوازية فاستخرقت كتابا على لسان بعض اخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية ويقول الحق المال الذي خلفت ولا تتأخر وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جعلا فلما وصل الكتاب الى زوجها وجدا موتها وجدا عظيما وقال للاهوازية أصلحي لي سفرتي فاني راكب الى البصرة ففعلت فلما أصبح الغد ركب فرسه واعطته السفرة ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له ما تكثر اختلافك الى البصرة الا ولك بها امرأة تزوجتها فقال لها والله مالي بالبصرة امرأة للذي وقف عليه من الكتاب فقالت له لست أدري ما تقول وانما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثا يقول جميع المسلمين فللذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه ثلاث ماتت فلم أغير صدر هذه فقال لها كل امرأة لي غيرك في جميع الاقاليم فهي طالق ثلاثا يقول جميع المسلمين فقالت له لا تتعب فقد طلقت الحبيبة فندم الرجل وأسقط ما في يديه ﴿ولما تزوجت ليلى﴾ صاحبة قيس بن الملوح هام على وجهه مع الوحش وكان يقول

لها في سواد القلب تسعة أسهم * وللناس في ذاك المكان عشير
ولست بمحص حب ليلى لسائل * من الناس الا ان يقول كثير

وتنشر نفسي بعد موتي لذكرها * ثموت لنفسي مرة وتشور
أتاني بظهر الغيب ان قد تزوجت * فكادت بي الارض البراح تمور
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا * تلاق وعيني بالدموع تفور
لئن كان تبدي بردا يمانها العلى * لأفقر مني انني لفقير
فما أسرع الاخبار ان قد تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

﴿حكى﴾ ابراهيم بن محمد بن عرفة قال كانت أم عبد الملك بن سعيد بن خالد ابن عمرو عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك فمرض سعيد وهو بالبادية فعاده فدخل عليه وعنده أختها سلمى فستروها فرأى منها لمحة ثم قامت فرأى طولها فطلق أختها وخطبها فلم يزوجه اياها وكانت اختها ام عثمان عند هشام بن عبد الملك فبعث الى أبيها ايالك ان تزوج الوليد تريد ان تتخذه خلا لبناتك يطلق واحدة و يتزوج اخرى فابى ان يزوجه فقال الوليد العجب من سعيد خطبت اليه فردني ولو قد مات هشام واستخلفت لزوجنيها فان زوجتها فهي طالق وان كنت أهواها وقد ذكرنا حديثه مستقصى في موضعه من هذا الكتاب ﴿خاصمت﴾ امرأة زوجها الى الطاب بن حبط المخزومي قاضي المدينة وكانت قالت له أسأت الي وأوجعتني ووالله ما أستطيع فان بقيت تمسي من الجوع والجهد وما أتقن الا على الوطن فقال أنت طالق ان كان لا يقيم الا على الوطن فاخبرت القاضي بما قالت وبما قال فقال القاضي بطاب المقادير ورب الكعبة ان الابل ليكون بالمكان الجدب الخسيس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن فقال الزوج كأن المسئلة أصلح الله القاضي أشكلت عليك هي طالق ألف مرة ﴿وطلق﴾ علي بن منظور امرأته فندم عليها ندما شديدا فقال

ما الطلاق فقدته * وفقدت عاقبة الطلاق
طلقت خير خليلة * تحت السموات الطباق

﴿وأحبت﴾ امرأة الاعرابي ان تفارقه فقال

تعنين الطلاق وأنت مني * بعيش مثل مشرفة الجمال

﴿قال

﴿قال خالد بن صفوان﴾ ما بت ليلة أحب الي من ليلة طلقت فيها نسائي فارجع والستور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل فبعثت الى بنتي ثلاثة فباطعام وبعثت الاخرى الى بفراش أنام عليه ﴿وقيل﴾ لامرأة كانت تطلق كثيرا مالك تطلقين أبدا قالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم فيورهم ﴿وقال اعرابي لامرأته﴾

أنوهت باسمي في العالمين وأفنيت عمري عاما فعاما
فانت الطلاق وأنت الطلا * ق وأنت الطلاق ثلاثا ثواما

﴿عروة بن الزبير﴾ عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وانى تزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير وما معه الا مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلة الزوج الثاني و يذوق عسيلتك ﴿دخل﴾ مدني البصرة فتزوج فيها امرأة ثم حصل بينهما شر فقال لها أنت طالق عدد شعر استك فقالت قاتلكم الله يا أهل المدينة تسرعون الطلاق وتؤثرون الخلاق ﴿قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لعطاء﴾ بن صيفي الثقفي لو أصبت زكرة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعها قال أفرقها في بني التجار فانهم لا تعدوهم ولكن اخبرني أيما أكبر جدك ثابت أم جدتك فريعة قال لا أدري قال عطاء الفريعة كانت أكبر وقد تزوجها قبله أربعة أزواج كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها فقيل لها يا فريعة لم تطلقين وأنت بمثل هذا الجمال قالت يلتمسون الضيق ضيق الله عليهم ﴿وطلق اعرابي﴾ زوجته فقيل له ألا تتزوج بعدها فقال مكابدة العفة أيسر من الاحتيال بمصلحة العيال ﴿تزوج﴾ الفضل بن قطن الحارثي ابنة المهلب بن أبي صفرة فجلس يوما معها يشرب فاراد الافتخار عليها فقال

ان كنت ساقية يوما على كرم * كأس المدام فاسقيها بني قطن

ثم انه تحرك فضرط فقالت وأسقي هذه بني قطن أيضا فخجل وقال اذهبي

فانت طالق ﴿وطلق﴾ عطية بن أخي مجبوبة بنت عبد الله امرأته فتزوجت رجلا ذميما فقال في ذلك

لعمري أبي سلمى ولست بشامت * بسلمى فقد أمست بها النعل زلت
وليس لتغفور لسلمى ذنوبها * وان هي صامت كل يوم وصلت
ولو ركبت ما حرم الله لم يكن * بأعظم عند الله مما استحلت

﴿كانت﴾ لبعض الصالحين امرأة تبغضه فكان اذا نهاها عن أمر دعت الله أن يريحها منه وان يعجل طلاقها فاضجرته يوما فطلقها فسجد لله شكرا فقال الرجل اللهم انها وضعت اليك فما كاذبا ووجها وفاحا ورفعت اسنة مجاهرة بالفحشاء فاجرة فوثب سنور في البيت فافزعها فضرطت فقال الحمد لله الذي سهل فرقتك وعجل فضيحتك

﴿باب ما جاء في الغيرة﴾

﴿يروى﴾ عن عروة بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر لا شيء أغير من الله * وعن عبد الله بن مسعود أنه قال ان الله ليغار للمسلم فليغر وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شيء أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغيرة غيرتان فغيرة يحبها الله وغيرة يكرهها الله قلنا يا رسول الله ما الغيرة التي يحبها الله قال ان يغار أن يأتي معاصي الله وينتهك محارمه قلنا وما الغيرة التي يكرهها قال ان يغار أحدكم في غير كنهه وعن عبد الملك بن عمير بن عبد الله ابن بكار انه قال الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخله النار ﴿ويروى﴾ ان سارة كانت تحب ابراهيم خليل الرحمن فشكت معه دهرا لا ترزق ولدا فلما رأت ذلك وهبت له هاجر وكانت أمة لها قبطية فولدت لابراهيم اسمعيل صلى الله عليه فاغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها وعتبت على هاجر فحلفت لتقطعن عضوا من أعضائها فقال لها

ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه هل لك ان تبرى يمينك قالت كيف أصنع
قال اتقبى أذنيها وخصفيها والخصف هو الخياطة ففعلت ذلك بها فوضعت
فى اذنى هاجر قرطين فازدادت حسنا فقالت سارة انى اغرتها جمالا
فلم تتركه على كونها معه ووجد بها ابراهيم وجدا شديدا فنقلها الى
مكة وكان يزورها فى كل وقت من الشام لشغفه بها وقلة صبره عنها ﴿وعن
ابن أبى مليكة﴾ ان ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار
بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر فقال فجمع لها جرائد ثم أتى فضربها بها
﴿وعن علقمة﴾ ان معاذ بن جبل كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل
عليه غلام فناولته امرأته تفاحة قد أكلت منها فاوجعها ضربا ﴿وقال
بعضهم﴾ لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها واستدل بافراط
غيرتها على افراط حرصها وهذا القول خطأ قد علمنا ان الرجل أشد غيرة
على المرأة من المرأة على الرجل وربما كان الذى يبدو من المرأة عند
تسرى زوجها بالسرارى وتزويجه المهيرات وحين تراه مع بعضهن
توهيما للفعل ان ذلك من الطرية والكراهة المشاركة فيه وبعض ذلك
يكون من طريق الالفة والنفاسة به وليس شكل ما تاتى المرأة اذا
رأت على فراشها من شكل ما يأتى الرجل اذا رأى على فراش امرأته
رجلا لان المرأة قد عاينت ان الرجل له أربع نسوة وألف جارية
يطؤهن بملك اليمين لما أحله الله فى الشريعة وكذلك غيرة فحول
الحيوان على اناثها لان فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها
حتى تصير الى الغالب قال الراجز * يغار والغيرة فى خلق الذكر *
والامم تختلف فى الغيرة فمن الصقالبة ناس لا يتزوجون من قرب منهم
فى النسب ولا الدار واذا مات البعل خنقت المرأة نفسها أسفا عليه
والمرأة من الهند اذا مات زوجها وأرادوا حرقه جاءت ليحرقوها معه
والديلمى يخرج من الديلم الى حدود ما بين دار الاسلام والديلم ومعه
امرأته واخواته وعماته فيبيعهن صفقة واحدة ويسلمهن الى المبتاع

لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن بها حولا محرما ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ويتزوجها ثم يزعمون مع ذلك انه يجدها بكرا وقد عانقها في ازار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب وان من أعجب العجب ان يكتاما متعانقين في لحاف واحد يخبر عن ألذ الامور تكرما وهذا التكرم عند عاوج طبرستان من العجائب ﴿وقال معاوية رضي الله عنه﴾ ثلاث خصال من السؤدد الصلع وانداح البطن وترك الافراط في الغيرة ﴿ولما﴾ نزل قيس بن زهير ببعض العرب قال لهم اني غيور وأنا فخور وأنا أنف ولكن لا أغار حتى أرى ولا أفخر حتى أفعل ولا آنف حتى أضام فعابوه بقوله لا أغار حتى أرى ويظن به اغماض عين رؤية السبب لا رؤية المرافقة وعابوا معاوية أيضا بقوله هذا ونسبوه الى قلة الغيرة وما أرى في قوله وترك الافراط عيبا لان الافراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول

فلا تشكعي ان فرق الدهر بيننا * أعم القفا والوجه ليس بانزعا

فهذا يأمرها بتزويج الانزع القليل شعر القفا والوجه ولا أرى فيه عيبا أيضا لانه انما قال ذلك ليذكرها جمال نفسه ليزهدها في غيره وأما قول نصيب

أهيم بدعد ما حييت وان أمت * فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

فاني لم أجد له تأويلا وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان وقال لجلسائه أرأيتم لو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون قالوا لا ندري فكيف كان أمير المؤمنين قائلا قال كان يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد الى خلة بعدي

وكان الرجل من العرب اذا خرج مسافرا بدأ بالشجرة يعقد خيطا على ساقها أو على غصن من أغصانها فاذا رجع الى أهله بدأ بالشجرة فنظر

الى الخيط فان كان منحلا حكم ان امرأته خائنة وان كان على حاله حكم انها حفظته وانشد أبو زيد النحوى

هل ينفعنك اليوم ان همت بهم * كثرة ما توصى وتعقى والرتم

والرتم اسم للخيط الذى يعقد فى الخنصر لتذكر الحاجة وكان معاوية ابن أبى سفيان يتمثل بقول الشاعر

ومرتقب رجع السلام بكفه * ومودع لم يستطع تسليما

﴿وقال آخر﴾

وأضحى الغيور أرغم الله أنفه * على ملتقانا قائما يتمطق

وقد مدّ شد فيه من الغيظ والاذى * كما مدّ شد فيه الحمار المخنق

﴿وقال الراعى﴾

وظل الغيور آرضا ببنانه * كما عض برذون على الفاس جامح

لقد رأبنى ان الغيور يودنى * وان ندامای الكهول الجحاجح

وصدّ ذوات الطعن عنى وقد رأت * كلاكى لمراء السنا الطوامح

﴿وقال عبد الله بن الدمينة﴾

ولما التقينا بالجمول ودوننا * خميص الحشا ذى القميص عوانقه

عرضنا فسلمنا فسلم كارها * علينا وتبريح من الغيظ خانقه

فرافقته مقدار ميل ولينتى * على زعمه مادمت حيا أرافقه

﴿وقال مسكين الدارمى﴾

وانى امرؤ لا ألف الا قاعد * الى جنب عرسى لا أفارقها شبرا

ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها * ليجعلها قبل الممات لها قبرا

اذا هى لم تحصن امام قناعها * فليس بمحتبها بنای له قصرا

ولا حامل على ظنى ولا قول قائل * على غيرها حتى أحيط بها خبرا

فهبنى امرأ أعمى مادمت شاهدا * فكيف اذا ما صرت عن بيتها شهرا

﴿وقال مسكين أيضا﴾

ألا أيها الغائر المستنبط * على ما تغار اذا لم تغر

تغار على الناس ان ينظروا * وهل يغبن الحاصنات النظر
فما خير عرس اذا نحتها * وبت عليها شديد الحذر
تكاد تصفق أضلاعه * اذا مارأى زائرا أو نفر
فمن ذا يراعي له عرسه * اذا ضمه والمطى السفر

﴿وثلاثة من شعراء أولاد العجم﴾ ممن كان مشتهرا بالغزل مذكورا بالشعر بالبادية كلهم قتلوا منهم وضاح اليمن وبسار الكواعب وسحيم عبد بني الحسحاس وانما قتلوا كفاءهن أولئك النساء وحفظا لهن حين رأوا التعرض وشنعة تلك الاشعار لا يشغلهم عنها الا قتلهم مخافة ان يكون ذلك القتل يحقق المقالة القبيحة ألا ترى ان الحجاج بن يوسف في عتوه لم يتعرض لابن غير في تشبيه بزينب أخته مخافة ان يكون ذلك سببا للخوض في ذكرها فيزيد زائد ويكثر مكثر وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يعترض لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وكان يتشبب بابنته حتى قال

ثم حاضرتها الى القبة الحمـ ـراء تمشي في مرمر مسنون

ومن أحق بالقتل من سحيم عبد بني الحسحاس حيث يقول

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم * علي ونحوي رجلها من ورائيا
وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها ورداثيا
فما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

ومر وابه ليقتلوه على الذي اتهم بها فضحكت فقال

فان تضحكي مني فيا رب ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

﴿وحكى﴾ العتبي قال سمع عقيل بن علفمة المري بنتا له ضحكت فشهقت في آخر ضحكها فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول

فرقت اني رجل فروق * من ضحكة آخرها شهيق

قال فنادت يا اخوتاه فبادروا فحالوا بينه وبينها ﴿وحكى﴾ أبو حاتم السجستاني عن الاصمعي قال كان عقيل بن علفمة غيورا وكان الخلفاء

يصاهرونه وكانت له ابنة يقال لها الحرباء فكان اذا خرج الى الشام خرج بها الفرط غيرته فخرج بها مرة وبان له يقال له عميس فلما كانوا بدير سعيد قال عقيل

قضيت وطرا من دير سعد وربما * غلا غرض ناطحته بالجاجم

ثم قال لابنه أجز يا عميس فقال

فاصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته اجزى يا حرباء فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * عقار تشت في المطا والقوائم

فقال لها ومايدريك أنت ما نعت الخمر هذه صفة من قد شربها وأخذ السوط فاهوى نحوها وجاء عميس فحال بينه وبينها فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم فشك فخذيه فبرك فحضوا وتركوه حتى اذا بلغوا أدانى لمياه منهم قالوا اللهم اسقطنا جزور النا فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بني زملوني بالدم * من يلق أبطال الرجال يكلم

ومن يكن درعه يقوم * شنشنة أعرفها من انخزم

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك وقد ذكرنا خبره فيما مضى (قال) ومما يحدث الهوى في قلوب النساء لغير أزواجهن ويدعوهن الى الحرص على الرجال والطلب لهن أمور منها ان يظهر لها زوجها شدة الحذر عليها والاحتفاظ بها والغيرة في غير موضعها أو يكون الرجل منهم كاذبا في الفساد مظاهرا لها بالزنا فان ذلك مما يغريها بطلب الرجال والحرص عليهم كما قال الشاعر

ما أحسن الغيرة في حينها * وأقبح الغيرة في كل حين

من لم يزل منها عرسه * متبعا فيها الرجم الظنون

أوشك ان يغريها بالذي * يخاف أو ينصبها للعيون

حسبك من تحصينها ضمها * منك الى عرض نقي ودين

لا تطلع منك على ريبة * فيتبع المقرون حبل القرين

﴿ذكر الشعبي﴾ ان عبد الله بن رواحة أصاب جارية له فسمعت به امرأته فاتخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له أفعلتها يا ابن رواحة فقال ما فعلت شيأ فقالت لتقرأن قرآنا والا بجعتك بها قال ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب فهبت ذلك وهي امرأة غيراء وفي يدها شفرة لا آمن ان تأتي بها قالت فقلت

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال فالقت السكين من يدها وقالت آمنت بالله وكذبت البصر قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فضحك وأعجبه ما صنعت (وكان) بعض العلماء لشدة شهوة الباه في ثلوب النساء وتمكنه فيهن وشدة غيرته يقول ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة انما المصيبة في معاتبتها اياه فانها ان نظرت اليه ووقع بقلبها موقع شهوة لم يلبث ان تصير في يده وتبعث الرسائل والاشعار والتحف ﴿قال اسحق﴾ رأيت رجلا بطريق مكة تعادله في المحمل جارية قد شد عينها والغطاء مكشوف ووجهها بارز فقلت له في ذلك فقال انما أخاف عليها من عينها لا من عيون الناس ﴿وقال سعيد بن سليمان﴾ لان يرى حرمتي ألف رجل على حال يكشف منها ولا تراهم آحب الي من ان ترى حرمتي رجلا واحدا غير متكشف ﴿واستأذن﴾ ابن أم مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده امرأتان من نسائه فقال لهما قوما وادخلا البيت فقالتا يا رسول الله هو أعمى فقال أفعميا وان أنتما

﴿باب من هذا الشكل﴾

وبالرجال أعظم حاجة الى ان يعرفوه ويقفوا عليه وهو الاحراس من ان يلقى الخبر السابق الى السمع لانه اذا ألقى دخل ذلك الخبر السابق الى مقره

دخولا سهلا وصادفه موضعا وطيا وطبيعة قابلة ومتى صادف القلب
كذلك رسخ رسوخا لا حيلة فى ازالته ومتى ألقى الى الفتيان شئ من
أمور الفتيان فى وقت الغرارة وعند قلبة الطبيعة وشباب الشهوة
وعند قلة الشواغل قوى استحكامه وصعبت ازالته وكذلك متى ألقى
الى الفتيان شئ من أمورهن وهنالك سكر الشباب فكذلك يكون
حالهم وان الشياطين ليخلو أحدهم بالغلام العزيز فيقول له لا يكن
الغلام فتى أبدا حتى يصادف فتى قدا الماء البارد العذب باسرع فى طباع
العطشان من كلمته اذا كان الغلام أدنى هوى فى الفتوة وكذلك اذا
خلت العجوز بالجارية الحديثة ﴿وقيل﴾ لابنة الحسن لم زنيت بعبدك
ولم تزن بحر وما أغراك به قالت طول السواد وقرب الوساد ولوان اقبح
الناس وجها وأخبثهم نفرا وأسقطهم همة قال لامرأة قد تمكن من
كلامها وأعطته سمعها والله ياسيدتى ويا مولاتى لقد أتعبت قلبى وأرقت
عينى وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا ولا مالا ولا ولدا انتقض
طباعها وفتح عقدها ولو كانت أبرع الخلق جمالا وأكملهم كمالا وانما
قال عمر رضى الله عنه اضربوهن بالعرى لان الثياب هى الداعية الى
الخروج فى الاعراس والقيام فى المناجاة والظهور فى الاعياد فمتى كثر
خروجها لم يعدمها ان ترى من هو من شكل طبعها ولو كان بعلها
أتم حسنا والذى رأت أنقص حسنا لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه
وكانت بما لم تنله وتستكثر منه أشد الوجد وهى به أشد استقبالا كما قال
وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد * هوى النفس شيا كاقتياد الطرائف
﴿وقيل﴾ لعقيل بن علقمة أما تخاف على بناتك وقد عنسن ولم تزوجهن
قال كلا اجوعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا ينظرن فوافقت احدى كلمتيه
قول النبى صلى الله عليه وسلم ووافقت الاخرى قول عمر رضى الله عنه
فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الصوم وجاء وقال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه اضربوهن بالعرى قال وكان هرون بن عبد الله البردعى يقول

لاهله محرم عليكم ان نظرت الى سائل يقف ببابك وسمعت حلاوة نغمته
وكان ينهى الباعة اذا دخلوا اسكنه عن النداء على بضائعهم ورأيته مرة
يضرب عطارا سمعه يترنم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسن صوته
فيقول العود المطرى والمحلب واللبان والمسك والعنبر ويردد ذلك
بصوته فيرجعه فكن النساء يستمعن اليه ويشرفن من المطالع ويتبعن
الابواب حتى تصل عيونهن الى النظر اليه ولو أردن السماع لكفتهن
الاذان وربما اشترين منه مالا يحتجن اليه قال فقلت له يا أبا وائل فانك
قد أنعم الله بشيء كنت تمنعه قال جعلت فداك انما أمنع منى لنفسى لئلا
يسمعه من فى منزلى فان النساء أسرع شيء ذهاب قلوب الى النغمة الحسنة
فان كان معه حسن وجه برئت المرأة من الله ان لم تحتل فى صرف قلبه
اليها ويصير الزوج قوادا قلت لا ولا كل هذا قال فاسألك الا سألته ان
يستعمل هذا الكلام مرة أو مرتين أو ثلاثا فى غير هذه السكة فذهبنا
به الى غيرها وجعل العطار ينادى فما أتم الثالثة حتى تحركت أكتاف
له طربا وجعلت لا أمر ولا أجيء لما سكرت من حسن صوته فقال كيف
تراه قلت أراه يستولى على قلوب الرجال قال فكم قلب الرجل على تركك
التهتك من قلب المرأة هذا اذا كانت بلغت من السن مبلغا ونقصت
شهوتها فاما اذا كانت شابة ولها فضل جمال ومعها شدة شهوة وكثرة لذة
وهى ذات حاجة وخالية الذرع من الفكرة فى المعاش وخالية القلب
وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه وغيرة الاخ وقلة صيانة الاب وأصابت
من يشجعها على فعلها ويفتح لها أبواب نظرتها ويسعى لها فى طلب
الصديق ويحرضها على التهتك وقد قرب منها الصوت وخلت من الرقيب
ولم يكن لها فى الارض اشراف ولا أهل عفاف فما يعرق السهم من الرمية
كم روق هذه الى الباطل ❁ كانت هند بنت المهلب ❁ من عقلاء النساء
وكانت تقول شيآن لا تؤمن عليها المرأة الرجال والطيب وأنشد اسحق
ابن ابراهيم

ولما

ولما رمت بالطرف غيري حسبتها * كما أثرت فيه تؤثر في قلبي
واني بها في كل حال لواثق * ولكن سوء الظن من شدة الحب

﴿وأنشد آخر﴾

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين
كل الرجال وان تعفف جهده * لا بد ان بنظرة سيخون

(وقال) كان عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن شاعرا أديبا ذا همة حسنة وكان له غلام كالقمر وجارية كالشمس وكان يهواهما جميعا فدخل ذات يوم فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله فشد عليهما فقتلهما جميعا ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلا وقال

يا طلعة طلع الحمام عليها * فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
روبت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها وما وطئ الحصى * شيء أعز علي من عينيها
ما كان قتلها لاني لم أكن * أبكي اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الانام بحسنها * وأنفت من نظر العيون اليها

ثم جلس عند رأس الغلام يبكي

أشفقت ان يرد الزمان بغدره * او أبتلى بعد الزمان بهجره
فرأنا استخرجته من دجنه * لمودتي وجلوته في خدره
فقتلته وبه علي كرامة * فلي الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ما أبعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

﴿وأنشد الرازي﴾

أما واهتزازك لو استطيع * لما لحظ الناس بدر التمام
ومن أين للبدر وجه يميت * ويحيي اذا شاء بالابتسام

فهبه حكاك بحسن الضيا * فمن أين للبدر حسن القوام
أغار على حسنه اذ حكا * ك وكان بذلك عند الانام

﴿وأنشد لابي تمام﴾

بنفسي من أغار عليه مني * وأحسد مقلة نظرت اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه

﴿وأنشد الآخر﴾

أغار عليك من قلبي * ولو أعطيتني أملي
وأشفق ان أرى خدي * ك نصب مواقع النبل

﴿ويروى﴾ ان جميل بن معمر قال لبثينة ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاط الا أخذتني عليك الغيرة ﴿وعن علي بن عبد الله الجعفري﴾ وكان شاعرا أديبا قال كنت أجالس بالمدينة وأنشد أشعاري فخرج أبو نواس فلما صار الى المدينة وأخذ ذات يوم أنشد والناس مجتمعون على اذ دخل أبو نواس فرأيته من بين الناس ثم قال يا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشحت فيهما فقلت وما هما قال اللذان تقول فيهما

ولما بدا لي أنها لا تحبني * وان هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت أن تبلى بغيري لعلها * تذوق حرارات الهوى فترق لي

قلت أفلا أنشدك بيتي اللذين أتغايرفيهما قال بلى فانشدته

ربما سرني صدودك عني * وطلابيك وامتناعك مني
حذرا أن يكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

قال فسألت عنه فقيل لي أبو نواس ﴿قال الاشعث بن قيس﴾ نزلت ببعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقام الى امرأته فضربها فحجزت بينهما قال فرجع الى فراشه وقال يا أشعث احفظ شيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألن رجلا فيم يضرب امرأته ﴿قال ابن عائشة﴾ كان أبو الاصبع العدواني غيورا وكان له أربع بنات فابى ان يزوجهن فقالت واحدة منهن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها فقالت

كبراهن

ألا ليت زوجي من اناس ذوي غنى * حديث الشباب طيب النشر والذكر
لهو فوق باك بادا النساء كانه * خليفة جار لا يقيم على الهجر

قلن لها أنت تريدين شابا غنيا ﴿وقالت الثانية﴾

عظيم رماد القدر رحب فناؤه * له جفنة يشقى بها الذيب والجزر
له خلقان الشيب من غير كبرة * تشين ولا وان ولا صرع غمر

قلن لها أنت تريدين سيدا ﴿وقالت الثالثة﴾

الا هل تراها اعرة وخليلها * يضم كبعل المشرفي المهند
عليه رواء اليسار ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تريدين ابن عمك قد عرفتيه وقلن للصغرى ما تقولين أنت فقالت لا أقول شيأ فقلن لها لن ندعك لانك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرك فقالت لا أدري ما أقول الا انه زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جميعا ﴿وروى﴾ عن سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لابنه يا بني لا تكثر الغيرة على أهلك من غير ريبة فترمى بالسوء من أجلك وان كانت بريئة ﴿وقال بعض الظرفاء﴾ كنت شديد الغيرة فاخبرت بمجيء قبيحة سوداء فذهبت مع اخوان لي عندها ليلا فطفئ السراج فضربت يدي الى صدرها فاذا دون يدي أربع أيدي فما أعلم اني خطر ببالي امرأة بعد ذلك ﴿قال﴾ كان سليمان بن عبد الملك من أشد الناس غيرة فحكى أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاصفر في وسط بستان قد أينعت ثماره ورنت أطياره وازهرت الربيع وعلى رأسه وصائف كل واحدة أحسن من صاحبتها فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وكان سليمان مطرقا فرفع رأسه فقال أبا زيد في مثل هذا اليوم يصاب أحدنا فقلت يا سيدي يا أمير المؤمنين أو قد قامت القيامة قال نعم على أهل الهوى سرا ثم أطرق ورفع رأسه

وقال أبا يزيد ما يطيب في يومنا هذا فقلت قهوة حمراء في زجاجة بيضاء
قناوانها مقدودة هيفاء مضمومة لفاء دعجاء أشربها من كفها وأمس فمي
بفمها فاطرق سليمان مليا ودموعه تتحدر فلما رأى الوصائف ذلك تحين
عنه فرفع رأسه وقال يا أبا يزيد حللت والله في يوم فيه انقضاء أجلك وتصرم
مدتك وفناء عمرك والله لاضربن عنقك أو تخبرني ما الذي أثار هذه
الصفة من قلبك قلت نعم يا أمير المؤمنين كنت جالسا على باب أخيك
سعيد بن عبد الملك واذا جارية قد خرجت الى باب القصر عليها قميص
اسكندراني بين منه بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي
رجليها نعلان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها ولها ذؤابة تضرب
الى حقويها وتسيل كالعناقيد على منكبيها وطرة قد أسبلت على
جبينها ولها صدغان كأنهما نونان على وجنتيها وحاجبان قد تقوسا على
محجري عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنفا كأنه قصبة در وهي تقول
عباد الله ما الدواء لما لا يشتكى والعلاج مما لا يتمنى طال الحجاب وأبطأ
الكتاب العقل ذاهب واللب عازب والعين عبرى والارق دائم والوجد
موجود والنفس والهة والفؤاد مختلس فرحم الله قوما عاشوا تجلدا
وماتوا تبلدا لو كان في الصبر حيلة والى العزاء وسيلة لكان أمرا جميلا
فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أو أرضية فقد أعجبني
ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني
وقالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الوجد بلا مساعد والمقاساة لصب
معاند ثم انصرفت فوالله يا أمير المؤمنين ما أكلت طيبا الا غصصت به
لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا يزيد
كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني تلك الذلفاء التي
يقول فيها الشاعر

اغنى الذلفاء يا فوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمولاها الذي باعها منه

والله

ولله لا مات الا بحسرتها ولا فارق الدنيا الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت نهية قم أبا يزيد فاكتم المفاوضة ويا غلام ثقل يده بدرة قال فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية الى أخيه سليمان ولم يكن فى عصرها أجمل منها فملكت قلبه وغلبت عليه دون سائر جواريه فخرجا يوما الى دهناء الغوطة بموضع يقال له دير الرهبان فقرب فسطاطه فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق وبهجة حفها أنواع الزهر الغض فمن بين أصفر فاقع وأبيض ساطع مثل النبات تحمل منه الريح نسيم المسك الاذفر وتؤدى تضوع عرفها اقتيت العنبر وكان له مغن يأنس به ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمع حديثه يقال له يسار وكان أحسن الناس وجها وأظرفهم ظرفا فامر بضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى تلك المنتزه فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان فى أكمل سرور وأتم حبور الى ان أتى الليل وحان انصراف يسار الى موضعه فوجد جماعة قد أتاخوا به فسلموا عليه فرد عليهم سلام جذلان بنزولهم وفرح بدخولهم فاحضر الطعام فاكلوا وقدم الشراب فتناولوا منه ثم قال هل من حاجة قالوا ما جئناك الا للقرى فقال بالجانب الخصب نزلتم وبالمنزل الرحب حللتم فقالوا له أما الطعام فقد أكلنا وأما الشراب فقد حضر وبقى السماع قال اما السماع فلا سبيل اليه مع غيرة أمير المؤمنين ونهيه اياى عن الغناء الا ما كان فى مجلسه قالوا فلا حاجة لنا فى الطعام عندك مالم تسمعنا فلما رآهم غير موقلين عنه رفع عقيرته وغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتى فارقها * فى آخر الليل حتى ملها السهر
لم يحجب الصوت اجراس ولا غلق * فقد معها الطروق الصوت يخدر
فى ليلة البدر لا يدرى مضاجعها * أوجهها عنده أضوا أم القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم * يكاد من لينه للمشى ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت الى صحن الفسطاط تسمع

الصوت فجعلت لا تسمع شيأ من خلق ولطافة قد الا الذى وافق المغنى
ومن تعب الليل واستماع الصوت الا رأت ذلك كله فى نفسها فحرك ذلك
ساكنا كان فى قلبها فهمات عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان فلم يجدها
معه فى الفسطاط فخرج الى صحنه فرآها على تلك الحال فقال لها ما هذا
يا ذلفاء فقالت يا أمير المؤمنين

الا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضح الاب والجد
يروعك منه صوته ولحنه * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعينى من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر يا غلام
على بيسار فدعت الذلفاء خادما لها وقالت ان سبقت الى بيسار فحذرته فلك
عشرة آلاف درهم وأنت حر فسبق رسول سليمان فاحضره فلما وقف
بين يديه وسليمان برعد غيرة قال من أنت فقال بيسار فقال سليمان

تشكل فى اشكال بيسار امه * كان نهار يحانه تنعمه
وخاله ينكله وعمه * ذو شغفة حيانه تغمه

﴿فقال بيسار﴾

واستبقنى الى الصباح اعتذر * ان لسانى بالشراب منكسر
فان اكن اذنبت ذنبا أو عثر * فالسيد المولى أحق من غفر

ثم قال يا بيسار الم أنهك عن مثل هذا الفعل فقال يا أمير المؤمنين حملنى
الثمل وقوم طرقونى وأنا عبد أمير المؤمنين فان رأى أن لا يضيع حظه منى
فليفعل قال أما حظى منك فلم أضيعه ولكن لا تركت للنساء فيك حظا
أبدا يا بيسار اما علمت ان الرجل اذا تغنى أصغت اليه المرأة وان الفرس
اذا صهل تودقت له الحصان وان النحل اذا هدر صغت له الناقة يا غلام
ائتنى بحنان فختنه فعاش بعد ذلك سنة ومات فسمى الدير دير الخصيان
وبه يعرف الى الآن وكتب الى عثمان بن حيان المرى عامله على المدينة
ان اخص من قبلك من المغنين فخصى الدلال فقال الآن صرنا نساء
حقا وادعى بعض بنى مروان ان عامل المدينة صحف وانما رأى فى

الكتاب احص من قبلك فقال الكاتب الذى قرأ الكتاب كيف تقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة كأنها سهيل ﴿ قال اسحق بن ابراهيم الموصلى ﴾ قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة وأراد سفرا ابن غيرتك على من تخلف قال اخاف معهن الجوع والعرى فانهن اذا جعن لم يزحن واذا عرين لم يبرحن (وعن) المغيرة بن شعبة ان سعد بن عبادة قال لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربت رأسه بالسيف فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تعجبوا من غيرة سعد فوالله انى لاغير منه والله أغير منى من أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقال يا أبا ثابت أكنت ضاربه بالسيف قال نعم والذى نزل عليك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا ولم يتمها أراد شاهد الثلاثة بالغ فيه الغيران والسكران ﴿ قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة ﴾ كان امرؤ القيس ابن حجر مئناثا لا يولد له ذكر وكان غيورا شديد الغيرة فاذا ولدت له بنت قتلها فلما رأين نساؤه ذلك غيبن بناتهن فى احياء العرب وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج من ناداهن حتى أناخ على حى من أحياء العرب واذا جوار مجتمعات فقال أيتكن تجيرلى هذا البيت ولها راحلتى فسكتن عنه وقالت ابنته هات فأنشأ يقول

تبلت فؤادك اذ عرضت عشية * بيضاء يهنكة عليها اللؤلؤ

قال فسكتت ساعة ثم قالت

لعقيلة الادحى بات يحفها * كنفا الظليم وزال عنها الجؤجؤ

فضربها بالسيف فقتلها وسار حتى نزل بحى آخر فاذا بجوار يلعبن فقال ايتكن تجيرلى هذا البيت ولها راحلتى فسكتن عنه وقالت ابنته هات فقال

اذا بركت نعالى مرفقاها * على مثل الحصير من الرخام

فسكتت ساعة ثم قالت

وقاموا بالعصى ليضربوها * فهبت كالخنيق من النعام

قال فقتلها ثم سار حتى نزل الى حى آخر فاذا بجوار يلعبن فقال أيتكن

تجيزلى هذا البيت ولها راحلتى فسكتت عنه وقالت لابنته هات فقال

وكأنهن نعاج رمل هائل * بدف عدن كأيد الشارب

فسكتت ساعة ثم قالت

بل هن أقرب فى الخطا من خطوها * ان الخرائد مشيها متقارب

قال فنزل اليها فقتلها وسار (نزل اعرابى) من طى يقال له المثنى بن معروف بابى جبر الفزارى فسمعه يوما يقول لوددت انى بت الليلة خاليا بنت عبد الملك بن مروان فقال له المثنى أحلالا أم حراما فقال ما أبالى قال فوثب اليه فضرب رأسه برحى له فشجه ثم ارتحل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * على النأى انى قد وترت أبا جبر

نشرت على اليافوخ منه رحاله * لتصرى أمير المؤمنين ولا يدرى

وما كان شئ غير انى سمعته * ينادى نساء المؤمنين بلا مهر

قال فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبى جبر وبعث الى المثنى بصلة جزيلة (وعن عبد الملك بن عمير) قال كانت هند بنت النعمان بن بشير الانصارى عند روح بن زنباع وكانت امرأة فصيحة أديبة برزة وكان روح رجلا غيورا فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام فجعل يضربها ويقول أتشرفين وتنظرين الى الرجال قالت ويحك وهل أرى الا جذاميا والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام فقال روح فى ذلك

أثنى عليك بان باعك ضيق * وبان أصلك فى جذام ملصق

وفيه تقول هند

وهل أنا الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل

فان تجبت حرا كريما فبالحرا * وان يك اقراف فما أنجب الفحل

فقال لها روح اللهم ان مت قبلها فابتليها بزوج يلطم وجهها ويقع فى حجرها وماتت روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى وكان شابا جميلا شريرا بالخمر فاحبته حبا شديدا فكان يلطم

وبرها وبقي على حجرها فقالت رحم الله أبا رعلة فقد استجيبت دعوته وأنشدت للخزيمي * ما أحسن الغيرة في حينها * الى آخر الابيات المتقدمة وقال الشنفرى

اذا ما جئت ما أنهاك عنه * ولم أنكر عليك فطلقيني
فأنت البعل يومئذ تقوى * بسوطك لا أبالك فاضربيني

﴿نزل﴾ عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خيمته بقديد بفناء بيت من بيوت قديد وهو يريد مكة معتمرا فخط رحله وكان رجلا جسيما من أعظم الناس بدنا وأحسنهم وجها فأرسلت اليه ربة البيت ياهذا ان لي زوجا غيورا ما يرى الانسان بجانب بيتي فيضربني وان رآك في هذا المنزل لقيت منه شرا فانشدك الله الا تحولت عني فأرسل اليها اني قد نزلت وأنا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس والتحول يشق علي قال فرددت اليه الرسول حتى تحول عنها ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة فقالت هي خريدة بنت أكثم وتزوجها ربيع بن أصرم ولها ابن صغير سمته باسم أبيها ثم ذهبت العجوز وقال عاصم بن عمر أبيات شعر ثم دخل زوجها واستقر في منزله فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم انه شفى غيظه ثم انه أتاه فصاح به فخرج فقال له بابي أنت ما عرضك لي فأخبره خبره وخبرها فقال بأبي أنت لو كنت معي في منزلي ما كان علي منك بأس ﴿قال كان عقيل﴾ ابن علقمة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه فقال أما اذا كنت فاعلا فجنبني هجمالك وخطب عقيل وقال

رددت صحيفة القرشي لما * أبت اعراقه الا احمرارا

(علي بن سليمان الاخفش) قال قال ابن الكلبي كان لقمان بن عاد حكيم العرب غيورا فبنى لامرأته صرحا وجعلها فيه فنظر اليها رجل من الحي فعلقها فأتى قومه فأخبرهم وجده بها وسألهم الحيلة في أمره فأمهلوه حتى أراد لقمان الغزو فعمدوا الى صاحبهم وشدوه في حزمة سيوف

وأتوا الى لقمان فاستودعوه اياه فوضع السلاح فى بيته فلما مضى تحرك الرجل فى السيوف فقامت اليه المرأة تنظر فاذا هى برجل فشكى اليها حبه اياها فامكنته من نفسها فلم يزل معها مقيما حتى قدم لقمان فردته فى السيوف كما كان وجاء قومه فاحتملوه وان لقمان نظر يوما الى نخامة فى السقف فقال من تخنم هذه فقالت أنا قال فتخنمى فقصرت فقال يا ويلتاه والسيوف دهتنى فقتلها ثم نزل فاتى ابنته صخرا صاعدة فأخذ حجرا فهشم رأسها فماتت وقال أنت أيضا امرأة فضربت العرب بذلك المثل فكان يقول المظلوم منهم ما أذنبت الا ذنب صخر ﴿ولى﴾ عمر بن الخطاب رضى الله عنه النعمان بن نضلة العدوى بيسان وأراد رحيل امرأته معه فأبت ذلك وكرهته فلما وصل الى بيسان أراد ان يغيرها فترحل اليه فكتب اليها

ألا هل أتى الخنساء ان خليلها * بيسان يسقى فى زجاج وحنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية * وصاحبه يحثو على خد مبسم
فان كنت ندمانى فبالاكبر اسقنى * ولا تسقنى بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا فى الجوسق المتهدم

فبلغت الابيات عمر بن الخطاب فقال اى والله وأبى وأبيك يسوءنى يا غلام اكتب بعزله فلما قدم على عمر بكتبه بهذا فقال يا أمير المؤمنين ما شربتها قط ولا قلت الابيات الا بسبب كذا فقال عمر أظن ذلك ولكن لا تعمل لى عملا أبدا ﴿ضرب﴾ البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج الى اذربيجان فاشترى فرسا وجارية وكان مملكا لابنة عمه فكتب لغريمها

ألا بلغا أم البنين بانتا * غنينا وأغنينا الغطارفة الجرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا الايام الغد وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه دعت بالدواة وكتبت اليه

اذا شئت غنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد

وانشاء منهم ناشئ مذ كفله * الى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فجل علينا بالسراح فانه * منانا ولا تدعو لك الله بالرد
ولا تفعل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على ان ركب الفرس وأردف الجارية ولحق بها فكان أول شئ بدأها به ان قال لها بالله أكنت فاعلة ما قلت فقالت الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أحقر وأذل من ان أعصى الله فيك ثم قالت له كيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية ورجع الى مكانه

(قالت) هند بنت بشر لزوجها روح بن زنباع وكان شديد الغيرة عجبا منك كيف يسود لك قومك وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال لها أما جذام فانى فى أرومتها وأما الجبن فاعالى نفس واحدة فأنا أحفظها ولو كانت لى نفس أخرى لجدت بها وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حسناء مثلك ان يغار عليها مخافة ان تجيئه بولد من غيره فتقذف به فى حجره (حكى) دعبل بن على قال عبث عطار اسمه فيروز بامرأة من الشام تسومه عطرا فعلقت بقلبه فقعد لها على طريقها فلما أضجرها قالت والله لو ان عبد الله بن سيرة بقربى ما طمعت فى هذا منى فبلغت عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو فى البعث بأرمينية فترك مركزه وأقبل لا يلوى على أحد حتى وقف ببابها ليلا وكان يوصف بشدة الغيرة فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها أيتها المرأة من هذا الذى عبث بك حتى تمنيت انى بقربك قالت رجل عطار قال لها فما ابتغى قالت لا قال لها فعد به الليلة القابلة وانى أسبقه الى بيتك فبعثت اليه تقول له اذ أبيت الا ما تريد فهلم الى بيتى الليلة عندى فاقبل اليها وقد سبقه ابن سيرة فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه ثم قتل خادمها وقال لها انما قتلته لئلا يطلع على الخبر أحد من الناس ثم ناولها مائة دينار وقال لها اشتر بها خادما واتفقى باقيها على نفسك ثم قال هلمى فأسا فقلع رأس

البالوعة ثم جرهما فألقاها فيها ثم سوى رأس البالوعة وقال للمرأة اظهري ان الخادم قد أبق ثم خرج ولم يعلم به أحد ولم يأت منزله حتى قدم أرمينية وقال في ذلك

ان المنايا الغيران لمرصدة * يغتاله النحر أو يغتاله الاسد
أو عقرب أو شجى في القلب معترض * أو حية في أعالي منتهى الزبد

وكانت لابن الدمينة امرأة يقال لها اسما وكان مزاحم بن عمرو السلولي يأتيها ويتحدث اليها فمنعها ابن الدمينة من ذلك فاشتد ذلك عليه فقال ابن مزاحم عند ذلك يذكرها

يا ابن الدمينة والاخبار تحملها * وخد النجائب تبديح اوتمتها
أمارة كيف ما بين عائنها * وبين سرتها الاشك كاويها

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التي في زوجته وعلم انه لم يرد ذلك منها الا وقد أفضى اليها فأتى امرأته فقال قد بلغني غشيان مزاحم اليك وقد قال فيك ما قال فأنكرت ذلك وقالت والله ما رأى ذلك الموضع قط قال فما أعلمه بعلامتك التي وصفها قالت النساء رأين ذلك اذ كنت جارتهن فتحدثن به فسمعه مزاحم وتغافل ابن الدمينة عن مزاحم حتى ظن انه قد ذهب من قلبه ثم قال لامرأته لئن لم ترسلي اليه الليلة يأتيك في موضع كذا لاقتلنك فأرسلت اليه انك قد سمعت بي ولا أحب ان يأتيني وأنا آتيك في موضع كذا فقعد في الموضع ابن الدمينة وأصحابه وجاء مزاحم وهو يظن انها في الموضع الذي وعدته فخرجوا اليه وأوثقوه وصروا صرة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات واحتملوه حتى أتوا به ناحية قدور قومه فطرحوه بها وجاء أهله فأخذوه ولم يجدوا به أثر سلاح فعلموا ان ابن الدمينة قتله ورجع ابن الدمينة الى امرأته فقتلها وقتل ابنة له منها وطلبه السلوليون فلم يجدوه ﴿ وحكى الثوري ﴾ ان رجلا من بني عقيل تعلق جارية وأبى أهلها ان يزوجوه اياها وكانت من أجمل النساء وكان اسمها البلى فسمع بها رجل موسر من ثقيف يقال له

حارثة بن عوف فقدم على أهلها فأرغبهم فزوجوه وطعن بها فقال العقيلي الذي كان تعلقها

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * تقطع الامن ثقيف وصالها
كأن مع الركب الذين تحملوا * غمامة صيف زعزعتها شمالها

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه فخرج في أثرها حتى قدم الطائف فانتسب انه أخ لها وصدقت هي فأدخله زوجها وذبح له ونحر وكان صاحب خمر يجلس هو والثقفي يشربان وهي تسقيهما فلما أخذت الخمر في العقيلي باح بسره فلما سمعه الثقفي هم به ثم غلبه السكر فخرج العقيلي تحت الليل وتبعه الثقفي بالكلب له عقر فأدركه وقد شارف بلاد بني كليب وقد غلبه الدم فبات فخلى أكلبه على جيفته فأكلته فسمعت بذلك الكلابيون فرحلوا في أثر الثقفي فأدركوه فقتلوه وخلوا عليه أكلبه فأكلته وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا الى المرأة فطرقوها في منزله فقتلوها ورحلوا فوثبت عليها أكلب زوجها فأكلتها فقال جار الثقفي

لعمري لقد ساق العقيلي حتفه * وما خبر ليلى كان عنها بأبعد
وخبر الفتى القيسي قد سبق نحوه * وأمسى مقيما بين أضلاع أزبد
أقاموا جميعا رهن أجواف أكلب * كذلك أمر الله في اليوم والغد

(ويروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الغيرة من الايمان وأعار رجل حسن بشئ من الفجور في أهله فلم يغيره الا بعث الله اليه ملكا يقول له غيرا أربعين يوما فان لم يفعل مسح بجناحه على عينيه فان رأى حسنا لم يدره وان رأى قبيحا لم ينكره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كتب الجهاد على رجال أمتي والغيرة على نسائها فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها الله أجر الشهيد وعن علي عليه السلام انه قال من أطاع امرأته في أربع كبه الله في النار على وجهه ان يطيعها في أن تذهب الى العرسات والى المعلمات والى الحمامات والى الجنائز وقال الاحوص يتشبب بأم جعفر الخطمية

أدور فلولا ان أرى أم جعفر * بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت دوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لابد ان سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر * وانى الى معروفها لفقير

فاستعدى أيمن أخوها عليه عامل المدينة وكان أيمن جسيما ضخما وكان الاحوص نحيفا فدفع الى كل واحد منهن سوطا وقال لهن اضربن الاحوص فقال بعض الشعراء

لقد منع المعروف من أم جعفر * أخو ثقة عند الحفاظ صبور
علاك بعشر السوط حتى لفيته * باصغر من ماء الصفاق يفور

قال الاحوص بعد ذلك

اذا أنا لم أغفر لايمن ذنبه * فمن ذا الذى يعفو له ذنبه بعدى
يسىء فأعفو ذنبه فتردنى * أياديه انهاما مباركة عندى

﴿تزوج﴾ عبد الله بن يزيد الحتفى امرأة حسناء وكان رجلا ثقيلا جسيما ظريفا فاحبها حبا شديدا وكان من أشد الناس غيرة فدعاه حبه لها وشدة غيرته عليها ان خرج بها الى بعض البوادى فابتنى لها قصرا وسكن به وأقام معها مدة (وخرج) عمرو بن سعيد العبدى يريد سفرا له فأخذته السماء فى بعض الطريق فنظر فاذا هو بقصر عظيم فعدل اليه وقرع بابه فخرج اليه عبد الله بن يزيد فعرفه فسلم عليه وأنزله وهيأ له طعاما ثم دعا بشراب من خمر عتيق فبينما هما يشربان اذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاما شابا وسكر زوجها سكرا شديدا فخرجت المرأة الى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته الى نفسها فأبى وقال ما كنت بالذى أفعل برجل أتانى منزله ولم يزل يدافعها حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره فأنشأ عمرو يقول

رب بيضاء خصرها ينثنى * قد دعتنى لوصلها فأبيت
لم يكن ثم أتى العفاف ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد فلما انصرف عمرو بن سعيد عمد عبد الله الى

المرأة فجعل في عنقها حبلا وعلقها به الى السقف فاضطربت حتى ماتت وعلم ان النساء لا حفظ لهن وآلى على نفسه انه لا يتزوج امرأة أبدا وترك قصره وعاد الى منزله ﴿وقال الفضيل بن الهاشمي﴾ كنت مع ابنة عمي نائما على سرير اذ ظهرت الى بعض جواري فنزلت فقضيت حاجتي ثم انصرفت فبينما أنا راجع اذ لدغتني عقرب فصرخت حتى علمت الى موضعي من السرير فغلبني الوجع فصحت فقالت لي ابنة عمي مالك قلت لها لدغتني عقرب قالت وعلى السرير عقرب قلت نزلت لا بول فأصابتني فغطت فلما أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن ان لا يقتلن عقربا في دارها الى سنة ثم قالت

اذا عصى الله في دارنا * فان عقاربنا تغضب
ودار اذا نام حراسها * أقام الحدود بها العقرب

(قالوا) وبينا ابن أبي ربيعة في الطواف اذ رأى جارية من أهل البصرة فأعجبته فدنا منها فكلمها فلم تلتفت اليه فلما كان في الليلة الثانية عاودها فقالت له اليك عني أيها الرجل فانك في موضع عظيم الحرمة وألح عليها وشغلها عن الطواف فأتت زوجها فقالت له تعال معي فأرني المناسك فأقبلت وهو معها وعمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي مربض المستأسد الحامي

فحدث المنصور هذا الحديث فقال وددت انه لم تبق فتاة من قريش في خدرها الا سمعت هذا الحديث ﴿وكان﴾ عمارة بن الوليد بن المغيرة بن الوليد سيف الله من فتيان قريش جمالا وشعرا وهو الذي جاءت به قريش الى أبي طالب قالوا هذا عمارة قد عرفت حاله فخذه بدل ابن أخيك محمدا وأعطنا محمدا نقتله فقال لهم أبو طالب ما أنصفتموني تعطوني ابن أخيكم أحفظه وأعطيكم ابن أخي تقتلوه وبعثت قريش عمارة بن الوليد وعمرو ابن العاصي الى النجاشي في أمر من قدم اليه من المهاجرين فلما كانوا في

السفينة ومع عمرو امرأته أم عبد الله فقال لها عمارة قبلني فقال لها عمرو قبلي ابن عمك وقال عمرو في ذلك

ليعلم عمار ان من شر شيمة * لذلك ان يدعى ابن عم له ابن ما
أان كنت ذا برد بن أحوى مرجلا * ولست تراعي لابن عمك محرما
اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقعد عمرو على منجاف السفينة لقضاء الحاجة فدفعه عمارة فألقاه في البحر فتخلص حتى كاد يموت فلما صار الى النجاشي أظهر له عمرو انه لم يفعل بما أصابه منه فجاءه عمارة يوما فخدثه ان زوجة الملك النجاشي علقته وأدخلته الى نفسها فلما تبين لعمرو حال عمارة وشي به عند الملك وأخبره خبره فقال له النجاشي ائتني بعلامة أستدل بها على ما قلت فعاد عمارة فأخبر عمرا بأمره وأمر زوجة النجاشي فقال له عمرو لا أقبل هذا منك الا ان تعطيك من دهن الملك الذي لا يدهن به غيره فكلمها عمارة في الدهن فقالت له أخاف من الملك فأبى ان يرضى منها الا ان تعطيه من ذلك الدهن فاعطته منه فأعطاه وعمرا الى فجاء به الى الملك فأمر السواحر فنفخن في احليله فذهب مع الوحش فلم يزل متوحشا حتى خرج اليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فجعل له على الماعز كافا أخذه فجعل يصيح به ارسلني فاني أموت ان أمسكتني فامسكه فمات في يده ﴿ عروة ابن الزبير ﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل ان يتزوجني بثلاث سنين لما أسمع من كثرة ذكره اياها وكان يذبح الشاة فيقرقها على صدائق خديجة قالت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها لا تكره مني يا خديجة ما أرى منك وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا أما علمت ان الله زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت

وقد فعل الله ذلك برسوله قال نعم قالت فبالرفاء والبنين

﴿باب ماذكر من وفاء النساء﴾

(حكى الاصمعي) عن رجل من بني ضبة قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها حتى أتيت بلاد بني سليم فلما كنت في بعض أحوائها اذا جارية تغني بصوت أشراق وجهها فقالت ما بغيتك فاني أراك مولها قلت ابل ضلت لي فأنا في طلبها قالت فتحب ان أرشدك الى من هي عنده قلت نعم قالت الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن فان شاء ردهن فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار فاعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها فقلت لها هل لك من بعل قالت كان والله فدعي فاجاب الى ما منه خلق ونعم البعل كان قلت لها فهل لك في بعل لا تذم خلائقه ولا تخشى بوائقه فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعا فأنشأت تقول

كنا كغصنين من بان غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمن * أن لا يضاجع أنثى بعده وتات
وكنت عاهدته أيضا فما جعلت * ريب المنون قريبا من سنينات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه * عن الوفاء له خلب الضحيات

قال فانصرفت وتركتها (قال الاصمعي) قال لي الرشيد امض الى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وطرف حديثهم فانحدرت فنزلت على صديق لي بالبصرة ثم بكرت أنا وهو الى المقابر فلما صرت اليها اذا بجارية تنادي اليمنا ريح عطرها قبل الدنو منها على ثياب مصبغات وحلي وهي تبكي أحر بكاء فقلت يا جارية ما شأنك فانشأت تقول

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يا فتيان
أهابك اجلالا وان كنت في الثرى * مخافة يوم ان يسوءك مكاني
واني لاستحييك والترب بيننا * كما كنت أستحييك حين تراني

فقلنا لها ما رأينا أكثر من التفاوت بين زيك وزينك فاخبرينا بشأنك فأنشأت تقول

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسني * حيا ويكثر في الدنيا مواساتي
أزور قبرك في حزني وفي جذل * كأنني لست من أهل المصيبات
فمن رآني رأى عبرى مفجعة * مشهورة الزي تبكي بين أموات

فقلنا لها وما الرجل منك قالت بعلي وكان يحب ان يراني في مثل هذا الزي فآليت على نفسي ان لا أغشى قبره الا في مثل هذا الزي لانه كان يحبه أيام حياته وأنكر غاية أنكار علي قال الاصمعي فسألتها عن خبرها ومنزلها وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت حتى حدثته حديث الجارية فقال لابد ان ترجع حتى تخطبها الي من وليها وتحملها الي ولا يكون من ذلك بد ووجه معي خادما ومالا كثيرا فرجعت الى قومها فأخبرتهم الخبر فاجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم فلما صرنا الى المدائن غاليها الخبر فشهقت شهقة فماتت فدفناها هنالك وسرت الى الرشيد فاخبرته الخبر فاذكرها وقتا من الاوقات الا بكى أسفا عليها ﴿توفي رجل﴾ وبقيت امرأته شابة جميلة فمازال بها النساء حتى تزوجت فلما كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الاول آخذا بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول

حييت ساكن هذا البيت كلهم * الا الرباب فاني لا أحييها
أمست عروسا وأمسى مسكني جدثا * بين القبور وانى لا ألاقيها
استبدلت بدلا غيري فقد علمت * ان القبور توارى من ثوى فيها
قد كنت أحسبها للعهد راعية * حتى تموت وما جفت مآقيها

ففزعت من نومها فزعا شديدا وأصبحت فاركا (أي مبغضة للازواج) وآلت ان لا يصل اليها رجل بعده أبدا ﴿ولما﴾ قتل عثمان رضي الله عنه وقفت يوما على قبره امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبي فترحمت عليه ثم انصرفت الى منزلها ثم قالت اني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب

وقد خفت ان يبلى حزن عثمان فى قلبى فدعت بفهر فوقمت فاها وقالت والله لا يقعد رجل منى مقعد عثمان أبدا وخطبها معاوية فبعثت اليه أسنانها وقالت أذات عروس ترى وقالوا لم يكن فى النساء أحسن منها مضحكا وكان هدبة بن خشرم العذرى قتل ابن عمر يقال له زيادة ابن زيد فطلبه سعيد بن العاص وهو بالمدينة لمعاوية فحبسه فقال فى السجن قصيدته التى يقول فيها

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وفى سجنه يقول أيضا

ولما دخلت السجن يأم مالك * ذكرتك والاطراف فى حلق سمر

وعند سعيد غير ان لم أبح * بهذكرتك الا من يذكر بالامر

وسئل عن هذا فقال لما رأيت ثغر سعيد شبهت به ثغرها وكان سعيد حسن الثغر فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المستورد بن زيادة فلما احتلم أخرج صبح تلك الليلة الى عامل المدينة فرغبه فى العفو وعرض عليه عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه الحسن بن على عليهما السلام وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم فلما أبى بعث هؤلاء وغيرهم من اخوانه بالخنوط والاكفان فدخل عليه رسولهم السجن فوجدوه يلعب بالنرد فجلسوا ولم يقولوا له شيأ فلما لحظهم اذا بطرف بردخرج من بعض الاكفان فأمسك ثم قال كأنه قد فرغ من أمرنا فقالوا أجل فقام فاغتسل ثم رجع اليهم فأخذ من كل واحد ثوبا وردما بقى وأخرج ليقاد منه فجعل ينشد الاشعار فقالت له حيا المدينة ما رأيت أقسى قلبا منك تنشد الاشعار وقد دعى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها غزال عطشان تولول يعنى امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حيا فقال

وجدت بها ما لم تجد أم واحد * ولا وجد حبى يابن أم كلاب

وانى طويل الساعدين ممدل * على ما اشتهت من قوة وشباب

فاعتنقت الباب فى وجهه وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدنى فقال له على هذه الحال قال نعم فابتدأ ينشده

ولست بفراج اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب

﴿قال﴾ ونظر رجل الى امرأته قد دخلته غيرة فقال وقد كان زيادة جزع أنفه بسيفه

فان يك أنفى بان عنى جماله * فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
فلا تحسبى ان فرق الدهر بيننا * أعم القفا والوجه ليس بأنزعا

(وعن أبى حمزة) الكنانى قال كنت فى حرس خالد بن عبد الله القسرى فقال خالد من يحدثنى بحديث عسى يستريح اليه قلبى فقلت أنا فقال هات فقلت انه بلغنى انه كان فتى من بنى عذرة وكانت له امرأة منهم وكان شديد الحب لها وكانت له مثل ذلك فبينما هو ذات يوم ينظر وجهها اذ بكى فنظرت الى وجهه وبكت فقالت له ما الذى أبكاك قال والله لتصدقينى ان صدقتك قالت نعم قال لها ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبى فقلت أموت فتتزوج زوجا غيرى فقالت والله والله ان ذلك الذى أبكاك قال نعم قالت وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبى لك فقلت أموت فيتزوج امرأة غيرى قال الرجل فان النساء حرام على بعدك فلبثا ماشاء الله ثم ان الرجل توفى فجزعت عليه جزعا شديدا فخاف أهلها على عقلها ان يذهب فأجمع رأيهم على ان يزوجوها وهى كارهة لعلها تتسلى عنه فلما كان فى الليلة التى تهدى فيها الى بيت زوجها وقد نام أهل البيت والماشطة تهيئ من شعرها اذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الاول داخلا عليها من الباب وهو يقول خنت يا فلانة عهدى والله لا هنيت العيش بعدى فانتبهت مرعوبة وخرجت هاربة على وجهها وطلبها أهلها فلم يقفوا لها على خبر ﴿قال اسحق﴾ خرجت امرأة من قريش من بنى زهرة الى المدينة تقضى حق البعض القرشيين وكانت ظريفة جميلة فرآها

من بني أمية رجل فأعجبته وتأملها فأخذت بقلبه وسأل عنها فقيل له هذه جميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة ووصفت له بما زاد فيها كلفه فخطبها الى أهلها فزوجوه اياها على كره منها وأهديت اليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به فلم تقم عنده الا قليلا حتى أخرج أهل المدينة بني أمية الى الشام فنزل بها أمر ما ابتليت بمثله فاشتد بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها وخيرت بين ان تجمع معه مفارقة الاهل والولد والاقارب والوطن أو تتخلف عنه مع ما تجد به فلم تجد شيأ أخف عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها فلما صارت بالشام صارت تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنأ طعاما ولا شرابا شوقا الى أهلها ووطنها فخرجت يوما بدمشق مع نسوة تقضي حقا لبعض القرشيين فمرت بفتى جالس على باب منزله وهو يتمثل بهذه الابيات

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا * صحون المصلى أم كعهدي القراطن
وهل أدورحول البلاط عوامر * من الحي أم هل بالمدينة ساكن
اذا الملعت نحو الحجاز سحابة * دعا الشوق مني برقها المتيامن
وما أبغضتنا رغبة عن بلادنا * ولكنه ما قدر الله كائن

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع تنفست نفسا صدع فؤادها فوقعت ميتة فحملت الى أهلها وجاء زوجها وقد عرف الخبر فانكب عليها فوقع عنها ميتا فغسلا جميعا وكفنا ودفنا في قبر واحد

وكانت خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكانت أختها عند عبد الله بن الزبير وهي أحسن الناس ثغرا وأتمهم جمالا فلما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير زوجها ثم خطبها فكرهت ان تتزوجه وهو قاتل زوجها فأخذت فهرا وكسرت به أسنانها وجاءها رسول عبد الملك تخطبها فأذنت له لتراها فأدى الرسالة ورأى ما بها فقالت مالي عن أمير المؤمنين رغبة ولكني كما ترى فان أحبني فأنا بين يديه فأتاه الرسول فأعلمه بذلك

فقال انا لله انما أردتها على حسن ثغرها الذى بلغنى وأما الآن فلا حاجة لى فيها (ومن) يضرب به المثل فى الوقاحة جماعة بنت عوف بن محلم الشيبانى وذلك ان عمرو بن عبد الملك طلب مروان القرط وهو مروان بن زنباع العبسى فخرج هاربا حتى هجم على أبيات بنى شيبان فنظر الى أعظمها بيتا ببصره فاذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه بين يديها فاستجارها فأجارته وطلقته خيل عمرو فبعثت الى أبيها فعرفته انها أجارته فمنعهم عوف عنه وانصرف أصحاب عمرو فأرسل عمرو الى عوف قد آليت الا أقطع طابى الا ان يضع يده فى يدى فقال عوف والله ما يكون ذلك أبدا الكن يدى بين يديك ويده قال فرضى عمرو بذلك فوضع مروان يده فى يد عوف ووضع عوف يده فى يد عمرو وقال عمرو لا حر بوادى عوف فذهبت مثلا (وحكى) عصام المرى عن أبيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية قبل نجد وقال ان سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا فلا تقتلن أحدا فبينا نحن نسير اذ لحقنا رجل معه ظعائن يسوقها أمامه فأخذناه فقلنا له اسلم قال وما الاسلام فعرضنا عليه قال أرأيتم ان لم أسلم ما أنتم صانعون بى قلنا نقتلك قال فهل أنتم تاركى حتى أوصى من فى هذا الهودج بكلمات قلنا نعم فدنا من الهودج وفيه ظعينة فقال اسلمى جبيش قبل انقطاع العيش فقالت اسلم عشرا أو تسعا وترا أو ثمانيا تترا قال ثم جاء فدعنقه قال شأنكم اصنعوا ما أنتم صانعون فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك الظعينة نزلت من هودجها وألقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكى حتى هدأت فحركناها فاذا هى ميتة (المتبى) قال كان خالد بن عبد الله القسرى ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم حدثونا حديثا يعض العشاق قال أحدهم أصلح الله الامير ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهن فقال له بعض جلسائه أنا أحدثك يا أمير المؤمنين بلغنى عن امرأة من بنى سكر يقال لها أم عقبة بنت عمرو ابن الاعرابى وانها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان وكان شديد المحبة

لها والوجد بها وكانت له كذلك فأقام بها على هذا الحال ماشاء الله لا يزيد كل واحد منهما بصاحبه الا اغتباطا فلما حضرت غسان الوفاة قال لها يا أم عقبة اسمعي ما أقول واجيبي عن نفسك بحق فقالت له والله لا أجيبك بكذب ولا أجعله آخر حظك مني فقال اني رجوت ان تحفظي العهد وان تكوني لي ان مت عند الرجاء أنا والله واثق بك غيراني بسوء الظن أخاف غدر النساء ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات فلم تمكث بعده الا قليلا حتى خطبت من كل مكان ورغب فيها الازواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب فقالت مجيبة له

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلي من الناس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بدمعة * تحول على الخدين مني فتكثر

فيئس الناس منها حينا فلما طالت بها الايام نسيت عهده وقالت من قد مات فقد فات وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس وقد كان بها معجبا فلما كانت الليلة التي أرادها الدخول أتاها في منامها زوجها الاول فقال لها

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم ترعي عهدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كأنه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت فأنكر طالها من حضرها وقلن لها مالك وما بالك قالت ما ترك لي غسان في الحياة أربا أتاني الساعة فأنشدني هذه الابيات ثم أنشدتها بدمع غزير وانتحاب شديد من قلب جريح موجع فلما سمعن ذلك منها أخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضي حاجة فأبطأت عليهن فقمن في طلبها فوجدنها قد جعلت السوط في حلقها وربطتها الى عمود البيت وجبذت نفسها حتى ماتت فلما بلغ ذلك زوجها

المقدام حسن عزاؤه عنها وقال هكذا فليكن النساء فى الوفاء قل من يحفظ ميتا انما هى أيام قلائل حتى ينسى وعنه يتسلى (استعدى) آل بثينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر فهرب حتى أتى رجلا شريفا من بنى عذرة فى أقصى بلادهم وله بنات سبع كأنهن البدور جمالا فقال الشيخ لبناته تحلين بأجود حليكن والبسن فاخر ثيابكن ثم تعرضن لجميل فمن اختار منكن زوجته اياها ففعلن ذلك مرارا وجعلن يعرضنه فلم يلتفت اليهن وأنشأ يقول

حلفت لسكنى تعلمن انى صادق * وللصدق خير فى الامور وأنجح
لتكليم يوم من بثينة واحد * ورؤيتها عندى ألذ وأملح
من الدهر ان أخلو بكن فاتنا * أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

قال أبو هفان دعن هذا فوالله لا أفلح أبدا (كانت) أم هانئ بنت أبى طالب تحت زوجها هبيرة بن أبى ليث المخزومى فهرب يوم فتح مكة الى اليمن فمات بها كافرا فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت والله لقد كنت أحبك فى الجاهلية فكيف فى الاسلام ولكننى امرأة مصيبة وأكره ان يؤذوك فقال النبى صلى الله عليه وسلم نساء قريش خير نساء ركبن المطايا احناه على ولد صغير وأرعاه على زوج ذى يد (أبو بكر الانبارى) عن أبى اليسر قال دخلت منزل نخاس لشراء جارية فسمعت فى بيت بازاء البيت جارية تقول

وكنا كزوج من قطا فى مفازة * لدى خفض عيش معجب مونق رغد
أصابهما ريب الزمان فأفردا * ولم أر شيأ قط أوحش من فرد

فقلت للنخاس اعرض على هذه المنشدة فقال انها مخزينة قلت ولم ذلك قال اشتريتها من ميراث فهى باكية على مولاها ثم لم ألبث ان أنشدت

وكنا كغصنى بانة وسط دوحة * نشم جنا الجنات فى عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيا فردة بانت تحن الى فرد

قال أبو السمراء فكتبت الى عبد الله بن طاهر بخبرها فكتب الى ان ألق

عليها هذا البيت فان اجازته فاشترها ولو كانت بخراج خراسان والبيت

قريب صد بعيد وصل * جعلت منه لى ملاذا

(فقالت سرعة)

فعاتبوه فزاد شوقا * فمات عشقا فكان ماذا

قال أبو السمراء فاشتريتها بألف دينار وحملتها اليه فماتت فى الطريق فكانت احدى الحسرات (قال الاصمعى) خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبى صفرة من دمشق متنزهين بغرابا لجبانة واذا امرأة جالسة على قبر تبكى فهبت الريح فرفعت البرقع عن وجهها فبكأنها غمامة جلت شمسا فوقفنا متعجبين ننظر اليها فقال لها ابن المهلب ياأمة الله هل لك فى أمير المؤمنين بعلا فنظرت اليهما ثم نظرت الى القبر فقالت

فان تسألانى عن هواى فانه * بمحمود هذا القبر يافتيان

وانى لاستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يرانى

فانصرفنا ونحن متعجبين (قال الاصمعى) رأيت بالبادية اعرابية لاتتكلم فقلت أخرساء هى فقيل لى لا ولكنها كان زوجها معجبا بنغمتها فتوفى فحلفت ان لاتتكلم بعده أبدا (قال الفرزدق) أبق لرجل من بنى نهشل يقال له حصن غلام فخرجت فى طلبه أريد اليمامة فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة ارتفعت لى سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القرا فاجابوا ودخلت الدار وأنخت ناقتى وجلست فاذا جارية كأنها طلعة قمر فقالت ممن الرجل قلت من بنى حنظلة قالت من أى حنظلة قلت من بنى نهشل قالت فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت نعم فتبسمت ثم قالت فان جرير اهدم قوله حيث يقول

أخزى الذى سمك السماء مجاشها * وأحل بيتك بالحضيض الاسفل

قال فأعجبنى ما رأيت من جمالها وفصاحتها ثم قالت لى ابن نؤم قلت اليمامة فتنفست نفسا وصل الى سحره فقلت أذات خدر أم ذات بعل فبكت فقلت ما أجبتينى عما سألتك قال فلما فهمت قولى ولم تكن أولا فهمته من شدة استغراقها فلما كان بعد ساعة أنشأت تقول

يخيل لى أبا عمرو بن كعب * بانك قد حملت على سرير

فان يك هكذا يا عمرو انى * مبكرة عليك الى القبور

ثم تنهدت شهقة فماتت فقلت لهم من هذه قالوا عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر قلت فمن عمرو قالوا ابن عمها خطبها ولم يدخل بها فارتحلت من عندهم فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد دفن فى ذلك الوقت من ذلك اليوم (يروى) عن سماك بن حرب أن زيد بن حارثة قال يا رسول الله انطلق بنا الى فلانة نخطبها عليك أو على ان لم تجبك فأتيناها فذكر لها زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله انى عاهدت زوجى ألا أتزوج بعده أبدا وأعطانى مثل ذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ذلك فى الاسلام ففى له وان كان ذلك فى الجاهلية فليس بشئ (قال الاصمعى) خرجت الى مقابر البصرة فاذا أنا بامرأة على قبر من أجمل النساء وهى تندب صاحبه وتقول

هل أخبر القبر سائليه * أم قر عينا بزائريه

أم هل تراه أحاط علما * بالجسد المستكن فيه

يا جبلا كان ذا امتناع * وطود عدل تأمليه

يا نخلة طلعها نضيد * يقرب من كف مجتنيه

يا موت ماذا أردت منى * حققت ما كنت أتقيه

دهر رمانى بفقد لفى * أذم دهرى وأشتكيه

أمنك الله كل خوف * وكل ما كنت تتقيه

أسكنك الله فى جنان * تكون أمنا لما كنيه

قال فقلت لها يا أمة الله ما هذا منك قالت لو علمت مكانك ما أنشدت حرفا هذا زوجي وسروري وأنسي والله لا زلت هكذا أبدا أو ألحق به قلت لها أعيدي علي الشعر فقالت هذا من ذاك فقلت خذي اليك وأنشدتها الابيات فقالت فان يكن في الدنيا الاصمعي فانت هو (قال) كان لاشجع ابن عمرو السلمي جارية يقال لها ريم وكان يحبها وجدا شديدا ويحبذه وكانت تخاف له انها ان بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبدا فقال يخاطبها

اذا غمضت فوق جفون حفيرة * من الارض فابكيني بما كنت أصنع
تعزيك عني بعد ذلك سلوة * وان ليس فيمن وارت الارض مطمع

﴿فأجابته ريم تقول﴾

ذكرت فراقا والفراق يصدع * وأي حياة بعد موتك تنفع
اذا الزمن الغدار فرق بيننا * فما لي في طيب من العيش مطمع
فلو أبصرت عيناك عيني أبصرت * شآبيب جدر غيثها ليس تقشع

﴿وقال فيها أيضا﴾

وليس لاخوان النساء تطاول * ولكن اخوان الرجال يطول
فلا يخلي بالدمع عني فان من * يضن بدمع عن هوى لبخيل
فما لي الى رد الشبيبة حيلة * ولا لي الى دفع المنون سبيل
وان لداتي قد مضوا لسبيلهم * وان بقائي بعدهم لقليل

﴿فأجابته ريم﴾

بكى من صروف خطبهن جليل * ومن ذا به عمر الحياة يطول
ومن ذا الذي يبقى على حدث الردى * وللموت في اثر النفوس رسول
وكل جليل سوف يلقى حمامه * وكل نعيم دائم سيزول
لي الويل ان عمرت بعدك ساعة * وان كثير الويل لي لقليل
وتزعم اني لا أجود بعبرة * اذا نجمه قد حان منه أفول
ومن ذا الذي أبكي له ان فقدته * سواك ومن دمعي عليه يسيل
فلا وقيت ريم اذا ما تخافه * اذا ناب خطب للزمان جليل

ولا لقيت يوم القيامة ربها * وميزانها بالصالحات ثقيل
اذا ما سخا قلب امرئ بعودة * فقلبي بود عن سوالك بخيل

ولما مات أشجع آلت على نفسها أن لا تأكل طعاما ولا تذوق شرابا فعاشت بعده أياما ثم توفيت فدفنت الى جانبه

﴿باب ما يذكر من غدر النساء﴾

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر وقال عمرو بن مالك

ان من غره النساء بود * بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان وفيها * كل شئ يجن فيه الضمير

﴿وقال طفيل الغنوي﴾

ان النساء لاشجار تبين لنا * منهن مر وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

﴿وفي الحديث المرفوع﴾ ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء فان ذهبت تقومها كسرتها فاستمتع بها على عوج فيها (وكان) أبو در الغفاري يقعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فينشده

هي الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها
أيجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

(وفي الحديث) شاوروهن وخالفوهن فان في خلافهن البركة (قال علقمة ابن عبدة)

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

﴿وقال آخر﴾

تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وان هي أعطتك اللسان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

(وقال

(وقال أبو عبيدة) حجت امرأة عجيز السلولى معه فأقبلت لا تطرق على شاب فى الرفقة الا وتكشف وجهها فقال فى ذلك

أيارب لا تغفر لعمة ذنبها * وان لم يعاتبها العجيز فعاقب
حرام عليك الحج لا تطعمينه * اذا كان حج المسلمات الثوائب

(وقال اعرابى)

لا تكثرى قولا يضحك ودنا * فقولك هذا للفؤاد مريب
تعدين ما أوليتنى منك قابلا * وللفارس الجلان منك نصيب

(أراد رجل) ان يشترى قينة وقد كان أحبها فبات عندها ولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه فأنشأ يقول

مارأينا بواسط كسلمى * منظرا لو تزينت بعفاف
بت فى جنبها وبات ضجيعى * جنب القلب طاهر الاطراف
فأقيمى مقامنا ثم بينى * لست عندى من قنية الاشراف

(وقال آخر)

لا أشتهى رنق الحياة ولا التى * تخاف وتغشاها المبيدة الحرب
ولكننى أهوى مشارب أحرزت * عن الناس حتى ليس فى صفوها عيب

(وقال اعرابى أيضا)

تبعتك لما كان قلبك واحدا * وأمسكت لما صرت نهبا مقسما
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه * على كثرة الوراد ان يتهدما

(وقال أبو نواس)

ومظهرة لخلق الله حبا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو اليه * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أرالك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وكان رجل يحب امرأة تخطب فى اليوم الذى ماتت فيه فقيل له فى ذلك فقال

خطبت كما لو كنت قدمت قبلها * لكانت بلاشك لأول خاطب
اذا غاب بعل حل مكان بعل مكانه * فلابد من آت وآخر ذاهب

﴿وعن المطلب بن وداعة السهمي﴾ قال كانت ضباعة بنت عامر من بني عامر بن صعصعة تحت عبد الله بن جدعان فكثت عنده زمانا لا تلد فأرسل اليها هشام بن المغيرة ما نصنع بهذا الشيخ الكبير الذي لا يولد له فقولي له فليطلقك فقالت ذلك لعبد الله بن جدعان فقال لها اني أخاف ان طلقتك تتزوجي هشام بن المغيرة قالت له فان لك علي ان لا أفعل هذا قال لها فان فعلت فان عليك مائة من الابل تحمرنها وتنسجين ثوبا يقطع ما بين الاخشبين وتطوفين بالبيت عريانة قالت لا أطيق ذلك وأرسلت الى هشام فأخبرته فأرسل اليها ما أهون ذلك وما يكن بك من ذلك أنا أيسر من قريش في المال ونسائي أكثر النساء بالبطحاء وأنت أجمل النساء ولا تعايين في عريك ولا تأبى ذلك عليه فقالت لابن جدعان طلقني فان تزوجت هشاما فعلي مائة فطلقها بعد استيثاقه منها فتزوجها هشام فنحر عنها مائة جزور وأمر نساءه فنسجن ثوبا يملأ ما بين الاخشبين ثم طافت بالبيت عريانة قال المطلب فاتبعها بصري اذا أدبرت واستقبلها اذا أقبلت فما رأيت شيأ مما خلق الله منها وهي واضعة يدها على فرجها وقريش قد أحدقت بها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

﴿قال الزبير بن بكار﴾ خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له يا ابن أخي قد انتظرت هذا منك انطلق معي فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج اليه ابنتيه فاطمة وسكينة وقال له اختر أيهما شئت فاختار فاطمة فزوجه اياها فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها انك امرأة مرغوب فيك متشوف اليك لا تتزوجين والي ما أدع في قلبي حسرة سواك فتزوجي من شئت سوى عبد الله بن عمرو بن عثمان ثم قال لها كأني قد خرجت وقد مت وقد جاءك

لا بساحلته هي جلاجمته يسير في جانب الناس معترضا لك ولست أدع
من الدنيا شيئا غيرك فلم يدعها حتى استوثق منها بالأيمان ومات الحسن
فأخرجت جنازته فوافاه عبد الله بن عمر وكان يحب فاطمة وجدا شديدا
وكان رجلا جميلا كان يقال له المطرف من حسنه فنظر الى فاطمة وهي
تلطم وجهها على الحسن فأرسل اليها مع وليدة له ان لابن عمك أربا
في وجهك فارفقي به فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع
من حضرها فلما انقضت عدتها خطبها فقالت كيف أفعل بأيماني قال
لها لك بكل مال مالان وبكل مملوك مملوكان ففي لها وتزوجها فولدت
له محمدا وكان يسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية ﴿قال الزبير﴾
لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت
القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها كأني بك قد تزوجت طلحة
ابن عمر بن عبد الله بن معمر فحلفت له بعتق رقيقها وان كل شيء لها في
سبيل الله ان تزوجته أبدا فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلت أرسل اليها
طلحة بن عمر يخطبها فقالت له قد حلفت وذكرت يمينها فقال لها أعطيك
بكل شيء شيئين وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار
فاصدقها ضعفها فتزوجته فولدت له ابراهيم ورملة فزوج طلحة ابنته
رملة من اسمعيل بن علي بن العباس بمائة ألف دينار وكانت منطقة
الجمال والخلق فقال اسمعيل لطلحة بن عمر أنت أتجر الناس قال له والله
ما عالجت تجارة قط قال بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين
ألفا فولدت لك ابراهيم ورملة فزوجت رملة بمائة ألف دينار فربحت
ستين ألفا وابراهيم ﴿وعن هشام بن الكلبي﴾ قال قال عبد الله بن عكرمة
دخلت على عبد الرحمن بن هشام أعوده فقلت كيف تجدك فقال أجدني
والله الموت وما موتي بأشد علي من أم هشام أخاف ان تتزوج بعدي
فحلفت له انها لا تتزوج بعده فغشي وجهه نورا وقال الآن فليترل
الموت متى شاء فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن عبد العزيز فقالت في ذلك

فان لقيت خيرا فلا يهنينها * وان تعست بؤسا فللعين والفم

فلما بلغها ذلك كتبت الى قد بلغني ما قلت به وما مثلي ومثلك في أخيك الا كما قال الشاعر

وهل كنت الا واهما ذات ترحة * قضت نحبها بعدا لمنين المرجع

فدع ذكر من قد وارت الارض شخصه * ففي غير من قد وارت الارض مقنع

قال فبلغ مني كل مبلغ فحسبت حسابها فاذا هي قد عجلت بالتزوج وبقي عليها من عدتها أربعة أيام فدخلت على عمر فاخبرته فأنقض النكاح

﴿قال الزبير بن بكار﴾ كانت امرأة من العرب تزوجت رجلا فكانت تجد به ويجد بها وجدا شديدا فتحالفا وتعاهدا ان لا يتزوج الباقي منهما فغالبت ان مات بعلها فتزوجت فلامها أهلها على نقض عهدها فقالت

لقد كان حبي ذاك حبا مبرحا * وحبي لذا ان مات ذا الموت شديد

وكانت حياتي عند ذلك جنة * وحبي لذا طول الحياة يزيد

فلما مضى عادت لهذا مودتي * كذاك الهوى بعد الممات يعيد

﴿حكى الهيثم بن عدي﴾ قال عاهد رجل امرأته وعاهدته أن لا يتزوج الباقي منهما فقال الرجل فلم تلبث المرأة ان تزوجت فلما كان ليلة البناء بها رأت في أول الليل شخصا فتأمته فاذا هو زوجها وهو يقول لها نقضت العهد ولم ترعي له وأصبحت أثمت نكاحها ﴿وروى﴾ ابن شهاب ان رجلا من الانصار غزا فأوصى ابن عم له بأهله فأتى ابن عم الرجل ليلة من الليالي فتطلع على حال زوجة ابن عمه فاذا في البيت مصباح يزهر ورائحة طيبة واذا برجل متكئ على فراش ابن عمه وهو يتغنى ويقول

وأشعث غره الاسلام مني * خلوت بعرسه بذر التمام

أبيت على ترائبها ويغدو * على جرداء لاحقة الحزام

كأن مجامع الربلات منها * قطام يلتمين الى قطام

فلم يقدر الرجل أن يملك نفسه حتى دخل عليه فضربه حتى قتله ورفع الخبر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصعد المنبر وخطب وقال عزمت

عليكم ان كان الرجل الذى قتل حاضرا ويسمع كلامى فليقم فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله ما كان من خبره فاخبره وأنشده الابيات فقال أضربت عنقه قال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله فقد هدر دمه

﴿قال أبو عمرو الشيبانى﴾ كان أبو ذؤيب الهذلى يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يبعث اليها خالدا ابن أخيه زهير فراودت الغلام عن نفسها فامتنع وقال أكره ان يبلغ أبا ذؤيب فقالت له ما يرانى وإياك الا الكواكب فبات معها وقال

ما ثم الا أنا والكواكب * وأم عمرو فلنم الصاحب

فلما رجع الى أبى ذؤيب استراب به وقال والله انى لأجد ريح أم عمرو منك ثم جعل لا يأتيه الا استراب به فقال خالد

يا قوم مالى وأبى ذؤيب * كنت اذا ما جئته من غيب
يمس عطفى ويشم ثوبى * كأننى أربته بريب

فقال أبو ذؤيب وهى من قصيدة من جيد شعره

دعا خالدا أسرى ليالى نفسه * يولى على قصد السبيل أمورها
فلما توفاها الشباب وغدره * وفى النفس منه غدرها وفجورها
لوى رأسه غنى ومال بوده * أغانيج خود كان حينا يزورها
تعلقها منه دلال ومقلة * بطل لاصحاب السفاه يثيرها

﴿فأجابه خالد﴾

فلا يبعدن الله عقلك ان غزا * وسافر والاحلام جم غيورها
وكنت أماما للعشيرة تنتهى * اليك اذا ضاقت بأمر صدورها
وقاسمها بالله جهدا لانتم * ألذ من الشكوى اذا ما يسورها
فلم يغن عنه خدعة حين أزمعت * صريمته والنفس مر ضميرها

قال وكان أبو ذؤيب أخذها من مالك بن عويمر وكان مالك يرسله اليها فلما كبر أخذت أبا ذؤيب فلما كبر أخذت خالدا وقال

تريدين كيما تجمعينى وخالدا * وهل يصلح السيفان ويحك فى غمد

أخا الدمار اعيت مني قرابة * فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي

﴿قال أبو عبيدة﴾ كان صخر بن عبد الله الشريد يتعشق ابنة عمه سلمى بنت كعب وكان يخطبها فتأبى عليه فاقام على ذلك حينا ثم أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء وقتل عدة منهم وأسر آخرون وأقبل صخر فنظر الى ديارهم بلقعا وأخبر الخبر فشد عليه سلاحه واستوى على فرسه وأخذ أثرهم حتى لحقهم فلما نظروا اليه قالوا هذا كان شر دمن بني سليم وقد أحب الله ان لا يدع منهم أحدا فجعل يبرز اليه الفارس بعد الفارس فيقتله فلما اكثر فيهم القتل حلت أسارى بني سليم بعضها بعضا وثاروا على بني أسد ونظر صخر الى سلمى وهي مع عبد أسود قد شدها على ظهره فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها وقد أصابته طعنة أبي ثور الاسدي في جنبه وتزوج سلمى وكان يحبها ويكرمها ويفضلها على أهله ثم بعد ذلك انتفض جرحه فرض حولا وكان نساء الحي يدخلن الى سلمى عوائد فيقلن كيف أصبح صخر فتقول لا حي فيرجى ولا ميت فينسى وهو بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف فقال أبيعك هذا الكفل فقالت عن قريب فسمعها صخر ولم تعلم فقال لها ناوليني السيف أنظر هل صدئ أم لا وأراد قتلها فناولته ولم تعلم فاذا هو لا يقدر حمله فقال

أرى أم صخر ما تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى ان أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقاوهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد أيقظت من كان نائما * وأسمعت من كانت له اذنان
فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب براس سنان

قال وتأنى في موضع الجرح قطعة فاشاروا عليه بقطعها فقال لهم شأنكم فلما قطعت مات ﴿قال كان الساطرون الملك﴾ ملك اليونانيين

قد بنى حصنا يسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك
رجع عنه خائبا حتى غزاه سابور ذو الاكتاف ملك فارس فحصره أشهرا
لا يقدر على شئ فاشرفت يوما من الحصن النضيرة ابنة الملك فنظرت الى
سابور فهويته وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فارسلت اليه ان أنت
ضمنت لى ان تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن
فضمن لها ذلك فارسلت اليه ان اثر فى الثرثار ثقبا واجعل الرجال يثقبونه
حتى يروا حيث يدخل فان ذلك المكان يفضى الى الحصن وفيه بابه
ففعل ذلك سابور وعمدت النضيرة الى أبيها فسقته الخمر حتى أسكرته فلم
يشعر أهل الحصن الا وسابور معهم وهم آمنون قال فلما ظفر سابور
بالحصن وقتل الملك أبا النضيرة وجمع جنده تزوج بالنضيرة فباتت
معه مسهرة لا تنام تنقلب من جنب الى جنب فقال لها سابور مالك
لا تنامين فقالت ان جنبى تجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك
على ألين منه ولا أوطأ وان فرشه لرغب الفراش فلما أصبح سابور نظر الى
ورقة آس بين أعكانها فقتاها فدمى موضعها فقال لها ويحك ما اذا كان
أبوك يغذيك قالت بالمخ والزبد والبلح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور
انى لجدير ان لا استبقيك بعد اهلاكك أبوك وقومك وكانت حالك
عندهم هذه الحالة التى تصفين وأمر باحضار فرسين فربطت الى
أرجلهما بعد اثرها ونفرا فقطعاها اتصفين فذلك قول عدى حيث يقول

والحصن صنت عليه داهية * من قعره أيد مناكبها
من بعدما كان وهو يعمره * أرباب ملك تجزل مواهبها

ويروى ان وضاح اليمن نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان
بالمدينة صغيرين فاحبها وأحبته وكان لا يصبر عنها حتى اذا شبت حجبت
عنه فطال بهما البلاء فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها
فتزوجها ونقلها معه الى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب
وينحل فلما طال عليه البلاء وصار الى الوسواس خرج الى مكة حاجا وقال

لعلي أستعيذ بالله مما أنا فيه وأدعو الله فلعله يرحمني فلما قضى حجه شخص الى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم لا يعيد حيلة حتى رأى في يوم من الايام جارية صفراء خارجة من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به فقال لها أتعرفين أم البنين بموضعي فقالت عن مولاتي تسأل قال لها هي ابنة عمي وانما التمس بموضعي لو أخبرتها قالت فأنا أخبرها فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت لها ويلك أحي هو قالت لها نعم يا مولاتي قالت لها ارجعي اليه وقولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي فاني لا أدع الاحتيال لك واحتالت له فادخلته في صندوق فمكث عندها حينا فاذا أمنت أخرجته فقعد معها واذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق وأهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وامض به الى أم البنين وقل لها أهدى هذا الى أمير المؤمنين فوجه به اليك فدخل الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم ولم تشعر أم البنين فبادر الى الصندوق فدخله وأدى الخادم الرسالة وقال هي لي من هذا الجوهر حجرا واحدا فقالت له لا أم لك فما تصنع بهذا الحجر وهو عليها حنق فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل اليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها يا أم البنين هبي لي صندوقا من صناديقك هذه قالت أنا لك يا أمير المؤمنين وهي لك فخذ أيها شئت قال ما أريد الا هذا الذي تحتي قالت له يا أمير المؤمنين ان فيه شيأ من أمور النساء فقال ما أريد غيره قالت فهو لك قال فأمر به فحمل ودعا بغلامين وأمرهما بحفران حتى وصلا الى الماء ثم وضع فيه في الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك وان كان كذبا فما أهون علينا اغماد فنا صندوقا وأمر بالصندوق فالقي في الحفيرة وأمر بالخادم الذي عرفه فقذف معه

ورد التراب عليهما قال فكانت أم البنين لا ترى الا في ذلك المكان تبكي
الى ان وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة ﴿ وروى ﴾ عن أبي نواس
قال حججت مع الفضل بن الربيع فلما كنا بارض فزارة أيام الربيع نزلنا
منزلا يفتاك سمه ذو ارض أريض ونبات غريض وقد اكتست الارض نبتها
الزاهر وبرزت براخم غرورها والتحفت أنوار زخرفها الباهر مما يقصر
عن حسنه الخمارق المصفوفة ولا يدانى بهجته الزرابى المبثوثة فزادت
الابصار في نضرتها وابتهجت النفوس بثمارها فلم نلبث ان أقبلت السماء
بالسحاب وأرخت عزاليها ثم اندهمت برذاذ ثم بطش ثم بوابل حتى اذا
تركت الديم كالوها دتقشعت وأقلعت وقد غادرت الغدران مستريعة
برفق والقيعان ناضرة بتالق يتضاحك بأنوار الزهر الغض حتى اذا هممت
بتشبيه منظر حسن رددته اليه واذا انتقت الى موضع طيب لم يجد في
البكاء معولا الا عليه فسرحت طرفي راتعا في أحسن منظر واستنشقت
من رياها أطيب من ريح المسك الاذفر فقلت لزميلي ويحك امض بنا
الى هذه الخيمات فلعلنا نلقى من نأثر عنه خبرا نرجع به الى بغداد فلما
انتهينا الى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مبرقعة بطرف مريض
وسنان النظر قد حشى فتورا وملئ سحرا فقلت لصاحبي والله انها لترنو
عن مقلة لا رقيبة لسليمها ولا برء لسقيمها فقال لي وكيف السبيل الى
ذلك فقلت استسقها ماء فدنونا منها فاستسقيناها فقالت نعم ونعما عين
وان نزلتما ففي الرحب والسعة ثم قامت تتهادى كالدعص اللبد فراعني
والله ما رأيت منها فأتت بالماء فشربت منه وصببت باقيه على يدي ثم
قلت وصاحبي عطشان أيضا فأخذت الاناء ودخلت الخباء ثم جاءت
فقلت لصاحبي تعرض لكشف وجهها فقال

اذا بارك الله في ملبس * فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون المها غرة * ويكشف عن منظر أشنع

فمرت مسرعة وأتت وقد كشفت البرقع وتقنعت بخمار أسود وأنشأت

وهى تقول

الاحى ضيفى معشر قد أراهما * أضلا ولما يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة * ليستمتعا باللحظ من سقاهما
يذمان تلباس البراقع ضلة * كاذم تجر اسامة مشتراهما

قال فشبهت والله كلامها بعقد در وهى من سلكه فهو ينتثر بنغمة عذبة رخيمة لو خوطبت به الصم الصلاب لانبجست ماء لرطوبة منطقها وعذوبة لفظها بوجه يظلم انوره ضياء العقول ويتلف من رؤيته مهج النفوس فهى كما قال

فرقت وجلت واستكرت فاكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت

فلم أتمالك ان خررت ساجدا فقالت ارفع رأسك غير مأجور ولا تذمن بعدها برقعا فكشف البرقع عما يطرد الكرى ويشغل الهوى من غير بلوغ أرب ولا ادراك مطلب وليس الا الحين المملوب والقدر المكتوب والامل المكذوب فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب حيرانا لا أهتدى الى طريق الصواب والتفت الى صاحبى لما رأى لهفى فقال ما هذه الخفقة لوجيه اغاربرقت لك بارقة لعلك ما تدرى ما تحتها أما سمعت قول الشاعر حيث يقول

على وجهها مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقلت بئس ما ذهبت اليه لا أبالك لا نا أشبه بقول الشاعر حيث يقول

منعمة حوراء يجرى وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
خزاعية الاطراف كندية الحشا * فزارية العينين طائية الفم

ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها فاذا هى كقضيب فضة قد شيب بماء الذهب يهتز على مثل كثيب ولها صدر كالورد عليه رمانتان أو حقان عاج علا تهما الآس وخصر مطوى الاندماج يهتز فى كفل رجراج لو رمت عقده لانعقد وسرة مستديرة يقصر وهى عن بلوغ وصفها تحت ذلك أرنب جاثم أو جبهة أسد غادر وفخذان لفاوان وساقان

نحد لجان بحرسان الخلاخيل وقدمان خمصاوان فقالت أعاراتري
قلت لا والله قال فخرجت عجوز من الخباء وقالت أيها الرجل امض لشأنك
فان قتيلها مطلول لا يودى وأسيرها مكبول لا يفدى فقالت لها
الجارية دعيه فمثله قول ذى الرمة

وان لم يكن الا تمتع ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها

فولت العجوز وهى تقول

فمالك منها غير انك ناكح * بعينيك عينها فهل ذاك نافع

قال فبينما نحن كذلك اذ ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل
وكرب داخل ونفس هائمة وحسرة دائمة فقلت فى ذلك

رسم الكرى بين الجفون مخيل * عفا عليه بكا عليك طويل
ياناظرا ما أقلعت لحظاته * حتى تشخص بينهن قتيل
أحللت من قلبى هواه محلة * ماحلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التى فى مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها اللهزول

قال فوالله ما انتفعت بحج ولا لقيت أحدا ممن كنت تأهبت للقائه ثم
رجعنا منصرفين فلما كنا بذلك المنزل وقد تضاعف نواره وأعشم نبته وتزايد
حسنه قلت لصاحبى امض بنا الى صاحبتنا فلما مضينا وأشرفنا على
الخيام ونحن دونها استرنى روضة أريضة مونقة عليها جمان الطل
يغازلها كالاعين النجل وقد أشرقت بدموعها على قضب الزبرجد
وهبت ريح الصبا فصبت لها الاغصان وتمايلت غمائل النشوان
فصعد نار بوه ونزلنا وهده فاذا هى بين خمس لا تصلح أن تكون خادمة
لاحداهن وهن بجنبين من نوار ذلك الزهر وينقلبن على ما أعشم من
عشبه وزهره فلما رأيننا تقربن فسلمنا عليهن فقالت الجارية من بينهن
وعليك السلام ألست صاحبى آنفا قلت بلى ولكن لصاحبى كان ذلك فقلن
لها أوتعرفينه قالت نعم فقصت عليهن القصة كلها ما كتمت منها حرفا

واحدا قلن لها ويحك أفسار ودتيه شيأ قالت زودته والله موتا مريحا ولحدا ضريحا فاتبرت لها أنضرهن وجها وأرفهن خدا وأرشقهن قدا وأبدعهن شكلا وأكملهن عقلا فقالت والله ما أجملت بدأ ولا أحسنت عودا ولقد أسأت فى الرد ولم تكافئيه بالود وانى أحسبه لك واصقا والى لقائك تائقا فما عليك من اسعافه فى هذا المكان ومعك من لا يتم عليك فقالت لها يا تعسا الى ما دعوتنى والله لا أفعل من ذلك شيأ أو تفعلينه وتشركينى فى حلوه ومره وخيره وشره فقالت لها تعسا تلك اذا قسمة ضيزى تعشقين أنت فترهبن وتوصلين فتقطعين ويرغب فيك فتزهدين ويبذل لك الود فتمنعين الرفد ثم تأمرينى ان أشاركك فيما يكون منك شهوة ولذة ومنى عناء وسخرة ما أنصفت فى القول ولا أجملت فى الفعل قالت أخرى منهن قد أطلتن الخطاب فى غير قضاء أرب فسألن الرجل عن قصته وما فى نفسه من بغيته فلعله لغير ما أنتن فيه فقلن حياك الله وأقر بك عينا من أنت ومن تكون فقلت أما الاسم فالحسن بن هانئ الحكمى وأنا من شعراء السلطان الاعظم ومن يتزين بمجلسه ويفتخر بحمده وشكره ويتقى لسانه قصدت لتبريد غلة واطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابت الجسد ثم استبطنت الاحشاء فمنعت من القرار ووصلت الليل بالنهار فقالت لقد أضفت الى حسن المنطق والمنظر كريم الخيم والمخبر وأرجو أن تبلغ أمنيتك وتنال بغيتك فهل قلت شيأ فى صبوتك قلت نعم قلن انشدنا فانشدتهن

حجبت رجاء الفوز بالاجر قاصدا * لحط ذنوب من ركوب الكبائر
فأبت كما آب الشقى بخفه * حنين فلم أوجر بتلك المشاعر
دهتنى بعينيها وبهجة وجهها * فتاة تمثل الشمس أسحر ساحر
منعمة لو كان للبدر نورها * لما طلعت بيض النجوم الزواهر
فان بذلت نلت الامانى كلها * وان لم تنلنى زرت أهل المقابر

فقلن أحسنت والله ثم قالت انها والله ساعتك الطولى ان خالفتنى قالت

قد سمعت جوابي فقالت أخرى أجيبها الى ما دعت من الشركة لكن احداهن فى الامر فقلن قد أنصفت وقد أطلن الخطاب على أمر فأمضينه قبل انتشار الحى فالوقت ممكن والمكان خال فأجمعن على ذلك ولست أشك فيما أظهرن ثم قلن بمن تبدأ فقالت افترعن فوقعت القرعة على أمطهن فصرت الى باب المغارة هنالك فادخلتنى وأبطأت عنى قليلا وجعلت أتشوق وأنظر الى دخول احداهن فبينا أنا كذلك اذ دخل على أسود كأنه سارية بيده ابره وهو متعطف كمتل ذراع البكر فقلت ما تريد قال أنيكك فاهتممت والله نفسى فصحت بصاحبى وكان أجلد منى فخلصنى من الاسود ولم أكد أخلص منه فخرجت من المغارة فاذا هن ينظرن من الخيمات كأنهن لا ل يحسدن من سلك وهن يتضاحكن حتى غبن عن بصرى فاسرعنا الرجعة الى رحالنا فقلت لصاحبى من أين جاء الاسود قال كان يرعى غنما عند بوءة من المغارة فأومأ اليه فأسرع نحوهن فاوحين اليه شيأ فرابنى ذلك فاسرعت نحوك فسبقنى ودخل عليك ولولا ذلك لكان قد نكن منك الاسود فقلت أترا ه كان يفعل قال لى فانت فى شك من هذا فقلت له اكتم على وانصرفت وأنا والله أخرى من ذات النحيين ﴿ قال دعبل بن على ﴾ بينا أنا ساثر بباب العسكر وقد استولى الفكر على قلبى فخضرنى بيت شعر فخطر به لسانى من غير النطق به فقلت

دموع عينى لها انبساط * ونوم جفنى له انقباض

واذا جارية معترضة تسمع كلامى فقالت

وذا قليل لمن دهته * بلحظها الاعين المراض

فلم أعلم انى خاطبت جارية أعذب منها لفظا ولا أسحر طرفا ولا أنضر خدا ولا أحسن مشيا ولا أرجح عقلا فوددت ان كل جارحة منى عين تنظر أو قلب يفهم أو أذن تسمع فقلت

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

ما للزمان يقال فيه واغما * أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال فلحظتها وتبعتني وذلك حين املاق واختلال حالي فقلت مالي الا منزل صريع الغواني فأتيته واستوقفتها ودخلت اليه وقلت ويلك يامسلم أجمل لك الخبر وجه على الباب تقبل له الدنيا وما فيها مع عسر وضيقة قال لي قد شكوت الى ما كدت أبدؤك به من الشكوى ولكن ائت بها على كل حال فلما دخلت قال لي والله ما أمالك الا هذا المنديل فقلت له هو البغية قال فاخذته فبعته بثلاثين درهما واشتريت خبزا ولحما ونبيذا واذا هما يتنازعان حديثا كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار فقلت

وحديث كأنه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

فقال لي مسلم بيت نظيف ووجه ظريف ولا نقل ولا ريحان أخرج فالتمس لنا ذلك قال فخرجت وجئت بما طاب فاذا لا حس منهما ولا أثر لهما فجعلت أطيل الذكر وأرجم الظن حتى اذا جن علي الليل وفي قلبي اهيب النيران ثاب الي عقلي وقلت لعل الطلب يوقعني على موضع حتى فوقفت على باب سرداب واذا هما قد نزلا ومعهما جميع ما يحتاجان اليه فأكلا وشربا ونعما فدليت رأسي وصحت مسلم ثلاث مرات فلم يكلمني باكثر من أن قال لي محلنا والنفقة من عندنا وأنت فضولي ما هذا الذي تقترح اصبر مكانك حتى يؤذن لك فبقيت طول ليلتي أتقلى على جمر الغضا لا أعرف أين أنا فلما انشق الصبح اذا به طلع وطلعت الجارية في أثره فاسرعت اليه وخرجت تتعدو ولم تخاطبني فكانت أعظم حسرة نزلت بي

﴿باب ما جاء في الزنا والتحذير من أليم عقابه﴾

﴿روى﴾ عن الاعمش عن سفيان عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة فاما التي في الدنيا فزوال البهاء ودوام الفقر وقصر العمر وأما اللواتي في الآخرة فسخط الله جل ثناؤه وسوء الحساب والخلود في النار ﴿وعن الحرث بن النعمان﴾ قال سمعت أنس بن مالك يقول ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقيم على الزنا كمايدوثن (وعن أبي سعيد الخدري) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي انطلق بي الى خلق من خلق الله ونساء معلقات بثديهن ومنهن بارجلهن منكسات واهن صراخ وخوار فقلت ياجبريل من هؤلاء فقال هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن ويجعلن لازواجهن ورثة من غيرهم ﴿وعن أبي الدرداء﴾ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ليبغض ثلاثة الشيخ الزاني والمقل المختال والبخيل المنان ﴿وعن عمر بن شرجيل﴾ عن عبد الله بن مسعود أنه قال قلت يارسول الله أو قال غيري أي الذنوب أعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل النفس بغير حق قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك قال ثم أنزل الله في كتابه تصديق ذلك ثم قال والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴿وعن عبد الله بن عمر﴾ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني بحليلة جاره لاينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه ويقول له ادخل النار مع الداخلين ﴿وعن أبي هريرة﴾ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شئ ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس الاولين والآخرين ﴿ذكر الزنا﴾ عند يحيى بن خالد بن برمك فقال الزنا يجمع الخصال كلها من الشر لاتجد زانيا معه ورع ولا وفاء بعهد ولا محافظة على صديق الغدر شعبة من شعبه والخيانة فن من فنونه وقلة المروءة عيب من عيوبه وسفك الدم الحرام جناية من جنايته ﴿وحكى ابن الاعرابي﴾ قال كان الحرث بن أبي شمر الغساني اذا أعجبته امرأة ووصفت له بعث اليها واغتصبها نفسها فوجه الى الزاهرية بنت خولة بن نفيل بن عمرو بن كلاب فاغتصبها نفسها فاتاه أبوها

فقال له

يا أيها الملك المخسوف أما ترى * ليلا وصبحا كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن تأتي بها * ليلا وهل لك بالمليك يدان
فاعلم وأيقن ان ملكك زائل * واعلم بأنك ماتدين تدان

﴿وعن عدي بن ثابت﴾ قال سمعت عبد الله بن عباس يقول كان في بني اسرائيل راهب عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤن على يديه وانه أتي بامرأة من أشرف قومها قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها لم يزل الشيطان يخوفه ويزين له قتلها ودفنها فقتلها ودفنها وذهب الشيطان في صورة رجل حتى أتى بعض اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب ثم أتى بقية اخوتها رجلا رجلا يجعل الرجل يلقى أخاه فيقول له والله لقد أتاني آت فذكر لي شيأ كبيرا علينا فاخبر بعضهم بعضا بما قيل لهم فاتوا الى الراهب فقالوا ما فعلت اختنا قال خرجت ولست أدري أين ذهبت فرفعوا ذلك الى ملكهم فسار اليه الناس حتى استنزلوه من صومعته فأقر لهم بالذي فعل فامر به فصلب على خشبة وقتل له الشيطان فقال له انا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل أنت مطيعي فيما أقول لك واخلصك قال نعم قال تسجد لي سجدة واحدة فسجد له الرجل ثم قتل فهذا داخل تحت قول الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين ولم تزل أشراف العرب في الجاهلية يتجنبون الزنا ويذمونه وينهون عنه وروى هشام بن عروة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية وهو مسند ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش اياكم والزنا فانه يورث الفقر وفي وصية دريد بن الصمة اياكم وفضيحة النساء فانها عقوبة غدوعار أبدي يقول يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها ولا يزال لازما ما عاش له عاره (وحكي)

بعضهم

بعضهم قال وفد عبد المطلب بن هشام على بعض ملوك حمير فألطف منزلته وأكرمه وكان تاما جميلا فقال له الملك يا أبا الحرث أحب ان يتادمني ابنك فاذن له أبوه في ذلك وكان الحميري أجمل ملوك حمير وكانت زوجته أجمل منه فكان اذا شرب مع الحرث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما فعشقت الحرث زوجة الملك فكاشفت به فراسلته فأعلمها انه محصن عن الزنا ولا يخون نديمه فالحت عليه فكتب اليها

لا تطمعي فيما رأيت فاني * عف منادمتي عفيف المئزر
أسعى لادرك مجد قوم سادة * غمروا فطافن البيت عند المشعر
فاقني حياءك واعلمي اني امرؤ * أربي بنفسي ان يعير معشري

ثم انه أخبر أباه فصوب رأيه وقال له يا بني ان لنساء الملوك طغاة فلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت والله لا أدعه تمتع بامرأة أبدا فدست اليه شربة فشربها وارتحل مع أبيه فلما قدم مكة مات فجزع عليه عبد المطلب جزعا شديدا وقال يرثيه

سقى الاله صدى واريته بيدى * ببطن مكة يعفوه الاعاصير
يا حارث الخير قد أورثتني شجنا * فالقلب عن ذكرك الا تغيير
فلست أنساك ما هبت شآمية * وما بدا علم في الآل معسور

﴿ولما قتلت﴾ بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث أبا امرئ القيس دار في أحياء العرب فلم يرمنهم ما يحب فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم فاقام عنده شهرا فاكرمه ونادمه وأعجبه كماله وعقله ثم بعث معه ستمائة من أبناء الملوك ومن تبعهم ونظرت اليه ابنة الملك فعشقته وأرسلت اليه ان يلقاها قبل خروجه فجعل يعتذر لها ويعللها ولا يرضى ان يخون أباها فيها مع ما فعل له معه وخرج منصرفا الى بلده فقالت بنت هرقل لابيها ما صنعت بنفسك وجهت أبناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب لو قد استمكن مما أراد غزاك ونزع ملكك فوجه اليه الملك بحلة مرصعة بالذهب مسمومة فلما لبسها تنفط جلده وتساقط لحمه فنظر

الى جبل فسأل عنه فقيل له اسمه عسيب فقال

أجارتنا ان المزار قريب * وانى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقيل انه قال هذا لانه رأى قبرا عند هذا الجبل فسأل عنه فاخبر انه قبر امرأة من بنات ملوك الروم فمات هنالك ﴿ومما﴾ فضل به بسطام بن قيس على عامر بن الطفيل وعتبة بن الحرث بن شهاب ان بسطاما كان فارسا عفيفا جوادا وكان عتبة فارسا عفيفا بخيلا وكان عامر فارسا جوادا عاهرا فاجتمعت فى بسطام ثلاث خصال شريفة فبذلك فضلهما بسطام ﴿قال الشعبى﴾ تنافر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وعلقمة بن علاثة ابن الاحوص الى هرم بن قطبة بن سنان الذبيانى حكيم العرب فقال لعلقمة باى شئ أنت أسود من عامر قال أنا بصير وهو أعور وأنا أبو عشرة وهو عقيم وأنا عفيف وهو عاهر ﴿وانما أطلقت العرب﴾ حديث الرجال الى النساء لما كانوا يرون من النقص فى الريب و يأخذون أنفسهم بحفظ الجيران وما يعرف بعضهم من بعض من استعمال الوفاء والتحرز من العار لان الرجل منهم كان يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الابنة والاخت والزوجة من حرمة لا يرى أحدهم لنفسه رخصة فى اضاعة ذلك وانما يحمل الغدر ويرخص نفسه فيه من بين البوادى وخالط الحضر لانه رأى أجناس العبيد وأخلاط العوام وقد نشؤا على عادة جروا عليها اولان يستوى من كرم طبعه وصحت بنيته وترك الفواحش وجانبها تنزها عنها ولانها محظورة عليه وغير مباحة له وأحب شئ الى الانسان ما منع عنه فترك الاول طبع وترك هذا تكلف وأما العوام وأخلاط الناس فلا يكادون يتورعون عن محرم ولا يستحيون من عار وهم أكثر العالم غدرا ﴿قال المسيح عليه السلام﴾ لا يزنى طرفك بما غضضت بصرك ﴿ونظر﴾ أشمعث الى ابنه يوما وهو يديم النظر الى امرأته فقال له يابنى أظن نظرك اليها قد أحبلها أخذ هذا بعض الشعراء

فقال

فقال ولى نظرة لو كان يحمل ناظر * بنظرته أنثى لقد حملت منى
(مرت امرأة) بقوم من بنى غير فرشقوها بابصارهم وأداموا النظر اليها
فقالت قبحكم الله يابنى غير فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ولا بقول الشاعر
فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
فحمل القوم عما قالت وأطرقوا ﴿وكان يقال﴾ أربع لا يشبعن من أربع
عين من نظر وأذن من خبر وأرض من مطر وأنثى من ذكر ﴿قال
اسحق بن جبير﴾ رأيت رجلا فى طريق مكة وعنده فى المحمل جارية
قد شدت عينها وكشف سائر وجهها فقلت له فى ذلك فقال انما أخاف عينها
لا عيون الناس ﴿وكان﴾ عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها
خصى لزوجها وهى واضعة خمارها فتنشط شعرها فخلقت شعرها وقالت
لا يصحبنى شعر نظر اليه غير ذى محرم منى ﴿وقال رجل لاعرابى﴾ ما الزنا
عندكم قال النظرة والقبلة قيل له ليس هذا الزنا عندنا قال وما هو قال
ان يجلس بين شعبها الاربع ثم يجهد نفسه قال بابى أنت ليس هذا زانيا
هذا طالب ولد ﴿قيل لابى الطمحان القينى﴾ أخبرنا عن أقبح ذنوبك قال
ليلة الدير قيل وما ليلة الدير قال نزلت على نصرانية فأكلت طفشلا بلحم
خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت
﴿قال الجاحظ﴾ قرأ قارئ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم فقال ابراهيم بن عمران لا والله ما سمعت بأعدل
من هذه الفاسقة أما والله لو عرست بى ما استعصمت ﴿بات اعرابى﴾
ضيفا لبعض الحضر فرأى امرأته فهم ان يأتى اليها فى أول الليل فمنعه
الكلب ثم أراد ذلك مرة أخرى فمنعه ضوء القمر ثم أراد ذلك فى السحر
فاذا عجوز قائمة تصلى فلما رأى ذلك قال

لم يخلق الله شيأ كنت أبغضه * غير العجوز وغير الكلب والقمر
هذا يبرح وهذا يستضاء به * وهذه سبحة قوامة السحر

﴿ووصف اعرابي﴾ رجلا ماجنا فقال والله لو أبصرته عيدان القيسان لتحركت أوتارها ولو رأته مومسة لطار خمارها ﴿وحكى عريدة بن اسماء﴾ قال حججنا ونحن في رفقة اذ نزلنا منزلا ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحيتها على عنقها لا تضرها بشيء فلم يجترئ أحد منا ان ينحيها عنها فلم تزل كذلك حتى أبصرت الحرم فانسابت ومضت عنها فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا ورأى الغريض المغني المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه الناس عنها فقال لها يا شقية ما فعلت حيتك قالت في النار قال ستعلمين من في النار قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتى اذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها فلما تأملت المرأة عرفتها ثم صفرت الحية فاذا الوادي يسيل علينا من جنباته حيات فتهشتها حتى بقيت عظاما ونحن نرى ذلك ثم انصرفنا جميعا فقلنا للجارية التي معها ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة فقد والله رأينا منها عجبا قالت نعم بغت ثلاث مرات تلد في كل مرة غلاما فاذا وضعته حملت تنور أو رمته فيه وتكتم خبره قال فقلت سبحان الله ما أعجب هذا وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النار فزادنا ذلك تعجبا منها

﴿قال أحمد بن يحيى﴾ كان مرثد عم عمرو بن قيسة الشاعر عنده امرأة جميلة وكان قد كبر وكان يجمع بني أخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم وكان عمرو بن قيسة شابا جميلا وكانت أصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين فخرج مرثد يرمي بالقداح فارسلت امرأته الى عمرو بن قيسة ان عمك يدعوك فجاءت به من دبر البيوت فلما دخل عليها لم يجد عمه فانكر أمرها فراودته عن نفسها فقال لها لقد جئت بامر عظيم وما كان مثلي يدعى لمثل هذا قالت لتفعلان ما أقول لك أولا سوءتك قال الى المساء دعوتني ثم انه قام فخرج وأمرت بجفنة فكبت على أثر رجله فلما رجع مرثد وجدها مغتضبة فقال لها مالك قالت ان رجلا من قومك قريب القرابة جاءيستامني نفسي ويريد فراشك فلما خرجت

قال ومن هو قالت أما أنا فلا أسميه ولكن قم فاقتفي أثره تحت الجفنة فلما رأى الاثر عرفه فاعرض عنه وجفاه ولم يزده على ذلك وكان أعجب الخلق اليه وعرف ابن قيمة ذلك وكره ان يخبره فقال

لعمرك ما نفسي بجدر شديدة * تؤامرني شر الامور مرتدا
عظيم رماه القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع ثلوى مرارا وأصعدا
على غير ذنب ان أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتهددا

وبلغت الابيات مرتدا فكشف عن الامر حتى تبين له فطلق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه ﴿وذكر هشام بن محمد الكلبي﴾ عن الحصين بن نبيد قال كان الحطيئة نازلا في بني المسند من بني ضبة فرأى ابنة بنت قرطة أخت العلا وكانت فاسدة فاعجبته فكلمها فاجابته فوقع عليها فحملت منه ثم ارتحل الحطيئة فلما بان حملها زوجها العلا بن غالب ابن صعصعة فولدت الفرزدق على فراشه فنسب اليه ففي ذلك يقول جرير بن الخطفى

كان الحطيئة جار أمك مرة * والله يعلم شأن ذاك الجار
لا تفخرن بغالب ومحمد * وانخر بعبس يوم كل فخار

قال وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فأكرمه وأحسن ضيافته فبلغه انه زان فاراد ان يختبر ذلك فقال لجارية له انطلقي الى الفرزدق وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق فاتته الجارية بالغسل والدهن وذهبت لتغسل رأسه فوثب عليها فركضته وقالت لعنك الله من شيخ ثم خرجت فاتت عمر فاخبرته فنفاه من المدينة وقال جرير

نفى الاعز ابن عبد العزيز * وحقك تنفى من المسجد

﴿فقال الفرزدق﴾

فاوعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت بهلكة ثمود

﴿ودخل﴾ الفرزدق يوما على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فقال أنشدني يا أبا فراس فانشده قصيدته حتى بلغ الى قوله

خرجن الى لم يطمثن قبلي * فلن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان ما أظنك يا أبا فراس الا قد احلت نفسك أقررت عندي بالزنا وأنا امام ولا بد من اقامة الحد عليك فقال يا أمير المؤمنين ما أحلت نفسي ان كنت تأخذ بقول الله وتعمل به قال سليمان فبقول الله نأخذ عليك الحد قال الفرزدق فان الله يقول والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وأنا يا أمير المؤمنين قلت ما لم أفعل فتبسم سليمان وقال تلافيتها يا أبا فراس ودرأت الحد عن نفسك وخلع عليه وأمر له بجائزة ﴿قال أبو عبيدة﴾ هوى أبو العباس الاعمى امرأة ذات بعل فراسلها فأعلمت زوجها فقال لها اطمعيه فاطمعته ثم قال ارسلي اليه فليأتك فأرسلت اليه فاتاها وجلس زوجها الى جانبها فقال لها أبو العباس انك وصفت لنا فأمسينا فاخذت يده فجعلته على ابر زوجها وقد أنعط فنثر يده وعلم انه قد كيد فخرج من عندها وقال

أتيتك زائرا فوضعت كفي * على ابر أشد من الحديد
على ألية ما دمت حيا * أمسك طائعا الا أعود
فخير منك من لا خير فيه * وخير من زيارتكم قعود

﴿وكان بشار الاعمى﴾ يرتع فبلغ امرأته ذلك فعاتبته مرارا فحلف لها وانها سألت عن المكان الذي يمضي اليه فدلت على امرأة تجمع بين النساء والرجال فبذلت لها شيأ وسألتها اذا جاءها بشار ان تبعث اليها ففعلت وقالت أبشار قد وقعت اليوم امرأة من أجمل النساء ووصفتها له فطرب اليها فلما خلا بها وخالطها ضربت يديها في لحيته وشتمته وقالت أين أيمانك الفاجرة فقال لها العنك الله الا تركتيني حتى أقضي حاجتي فوالله ما رأيت أبرد منك حلالا ولا أطيب منك حراما ﴿قال اسحق بن ابراهيم﴾

كان مخارق يهوى الجارية أم جعفر وشغف بها حتى أفضى غايته في حبها فبينما هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون في دجلة وقد عمل الشراب فيه وأم جعفر جالسة في دارها على دجلة اذ رفع عقيرته يغني شعر عباس بن الاحنف

ان يمنعوني عمري قرب داركم * فسوف أنظر من بعد الى الدار
ماضر جيرانكم والله يكلؤهم * لولا شقائي اقبالي وادباري
لا يقدرون على منعي وان جهدوا * اذا مررت وتسليمي باجهاري

فسمعت أم جعفر صوته فأمرت خدامها فصاحوا بالملاح فقدم وصعد اليها فدعت له بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وقالت لجواريها اضربن معه فكان أول ما تغنى به

أغيب عنك بود لا يغيره * نأي المحل ولا صرف من الزمن
فان أعش فلعل الدهر يجمعنا * وان أمت فبطول الشوق والحزن
قد حسن الحب في عيني ما صنعت * حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

قال فاندفعت الجارية تبارينه في الصوت وتغنى

تعلل بالشغل عنا لانكامنا * والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

فضحكت أم جعفر وقالت ما رأيت ولا سمعت قط باحسن من هذا ووهبت له الجارية فاخذها وانصرف * قال ابراهيم بن الخطيب * حدثني مخارق قال كنت عند الرشيد فلما أراد الانصراف قال لي يا مخارق بكر علي غدا فقلت نعم يا أمير المؤمنين فلما أصبحت بكرت أريد ما ذكره فاذا جارية راكبة وهي أحسن الناس عينين في النقاب فنظرت اليها ونظرت الي فملأت نفسي وتعشقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المعبدي الهاشمي فقلت لغلماني اذا كان المغرب فصيروا الي فاذا كنت في الدنيا خرجت اليكم واذا كنت ميتا فقد قضيت وطرا قال واقتحمت ودخلت الدار فاذا جماعة مجتمعون وقد أحضروا طعاما فاكلت معهم وأحضر الشراب وغنت الجارية فاذا هي أحذق الناس وأطيبهم غنيت فقال المعبدي ما أحسنه

وأبهاه من هو فقال له القوم ما نعرفه فقال ما أظرف هذا يدخل منزلي بغير أمري ابتغوا لي صاحب الشرطة وكل ذلك يسمعه قالت الجارية يا مولاي لا تفعل لعل له عذرا فيحياتي هب لي جرمه فقد رحمته واحسب أن هذه صناعته قال فطابت نفسي فلما خرجت قال لي يا فتى تغني فقلت نعم فغنيت فطرب القوم وقال المعبدي ان كان في الدنيا مخارق فانت هو قلت نعم أنا مخارق وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس وأقبل يكتب ويعود اليه الجواب ثم وزن مالا ووجه به فلما كان بالعشي قال يا غلام هات تلك العتيدة فاحضر عتيدة مملوءة طيبا وقال هات ذلك التخت فأحضره اياه فقال أتدري ما نحن فيه قلت لا قال قد اشتريت تلك الجارية بأربعين ألف دينار وهذه عتيدة فيها طيب وتخت ثياب فأخذت بيدها وانصرفت بها عروسا فلما أصبحت بكرت على الرشيد فقال لي يا ابن الفاعلة أين كنت فحدثته الحديث فسر به وقال ما توهمت ان في أهلي مثل هذا وأمر من ساعته ان يحمل اليه أربعون ألف دينار ﴿وكان ليوسف بن القاسم﴾ وهو أبو أحمد بن يوسف وزير المأمون غلام أسود متأدب نشأ في الاعراب فهوى جارية لرجل قرشي فشكاه القرشي لمولاه فضربه وحبسه وحلف ان لا يطلقه الا بعد شفاعة من شكاه فقيل له ويحك أتحبك كما تحبها فقال

كلانا سواء في الهوى غير انها * تجلد أحيانا وما بي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين واغما * جنونى عليها حين أنهى وأوعد

فبلغ مولاها شعره فقال وان فيه لهذا الفضل فركب من وقته الى القرشي فقال له أسألك ان تبيعني هذه الجارية بأي ثمن شئت فقال ما أفعل حتى أعرف السبب في ذلك فعرفه الخبر وأنشده البيتين فقال أشهدك اني قد وهبت له الجارية وما أعطى لله عهدا ان أخذت لها ثمنا ابدا الشفاعتك وأدب الغلام ووجه الجارية معه فدفعها الى الغلام ﴿قالوا﴾ كان المتوكل جالسا يوما في القصر الذي يقال له المختار اذ مر خادم أسود لفتيحة مبادرا

يريد الدخول الى دار النساء فسقط منه كتاب مختوم فأمر من جاء به بالكتاب وفتحه فاذا فيه مكتوب

أكثرى الحوفى الكتاب ومحيته * بريق اللسان لا بالبنان
وعرى الختام فوق ثنايا * ك العذاب المفلجات الحسان
انني كلما مررت بحرف * فيه محو لطعته بلساني
فأراها تقبيلة من بعيد * أهديت لى وما برحت مكاني

فقال يا فتح ما ترى لقد اجترأ على من كتب هذا الشعر على بالخادم فأتى به وقد علم الخادم ان الكتاب سقط منه فطار عقله خوفا وروعبا فقال له من دفع هذا الكتاب اليك وأنت آمن فان صدقت نجوت وان لم تصدق ضربت عنقك قال يا مولاى ان مولاتى قبيحة وكيلا يتصرف فى أمرها من أبناء البرامكة وهو يحب جاريتها نسيم الكاتبة وأنا أسعى بينهما بالكتب التى يتكاتبان بها فقال له امض بلا خوف عليك ثم قام المتوكل فدخل على قبيحة وقال لها خذى فى أمر جاريتك نسيم الكاتبة فانى قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم وأمر باحضار الوكيل فقال له هل لك فى نسيم فذهب عقله وطار قلبه وخاف خوفا شديدا فقال له تكلم وأنت آمن فقد زوجتك بها وأمهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك بعشرة آلاف تولم بها وسألى قبيحة تجعل زفافها اليه ففعلت (وحكى) الهيثم بن عدى عن ابن عباس قال كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان وكان يجد بها ويحبها حبا شديدا فغضبت عليه فطلب رضاها بكل أمر فأبت حتى أضر به ذلك وشكاه الى خاصته فقال له عمر بن الاسدى مالى ان أرضيتها قال له حكمك قال فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكى فقالت له حاضنها مالك يا أبا حفص قال قد جئت الى بنت عمى فى أمر مهم عظيم فاستأذنى لعلها تقضى حاجتى فقالت ما بالك فقال لها قد عرفت حالى مع أمير المؤمنين عبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فتعدى أحدهما على الآخر فقتله فقلت

أنا ولى الدم وقد عفوت فقال أمير المؤمنين ما أحب ان أعود فى عينى هذا وهو قاتله بالغداة فنشدتك الله الا كلمته فيه وسألته فى ابقائه لى فانك تجمعين فى ذلك أحياءه واحياء نفسى فانه ان قتله قتلت نفسى فقالت ما أكلمه فقال لها ما أظنك تكسبين شيأ أحب من احياء نفسين وبكى بكاء شديدا فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على ثيابى فلبست وكان بينها وبينه باب قد ردمته فامرت بفضه ثم دخلت فاقبل أحد الغلمان فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك رأيتها قال نعم يا أمير المؤمنين واذا هى قد أقبلت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت ولا أتيتك والله ان عدا أحد بنيه على الآخر فقتله وهو الولى وقد عفا عنه لتقتله قال اى والله وهو راغم قالت أنشدك الله ان لا تعجل فدنت فأخذت بيده فأعرض عنها فأخذت رجله فقبلتها فاكب عليها وضمها الى نفسه ورفعها الى سريره وقال قد عفوت عنه فتراضيا وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة فدخل عمر بن بلال فقال يا أبا حفص ألطفت الحيلة فى القيادة فيلك حكمك فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة عافيها من الرقيق والآلة قال هى لك قال ومرابض لولدى وأهل بيتى قال وذلك كله لك وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلى على القوّاد خدعنى ﴿ويروى﴾ ان معاوية ابن أبى سفيان رحمه الله رأى كاتبا له يكلم جارية لاحرأته فاختة بنت قريظة فى بعض طرق داره فقال له أتحبها قال اى والله يا أمير المؤمنين قال اخطبها من فاختة فخطبها وكلم معاوية فاختة فأجابته فزوجها منه فدخل معاوية وبين يديها عتيدة من العطر لعرس جاريتها فقال هوّنى عليك يا بنت قريظة انى أحسب الاتنا كان بعد حين ﴿قال عمر بن شبة﴾ كان الاحنف بن قيس يوما جالسا مع معاوية اذ مرت بهما وصيفة فدخلت بيتا من البيوت فقال معاوية يا أبا بحر أتاوالله أحب هذه الجارية وقد أمكنتنى منها ولا الحياء من مكانك فقال الاحنف فأنا أقوم قال بل

تجالس لئلا تستريب بنا فاطمة فقال الاحنف شأنك فقام معاوية اليها فبيناهو يماجنها اذ خرجت بنت قريظة فقالت للاحنف ياقواد أين الفاسق فأومأ الاحنف الى البيت الذى هو فيه فاخرجته ولحيته فى يدها فقال لها الاحنف ارفقى بأسيرك رحمك الله فقالت ياقواد وتتكلم أيضا فقال معاوية يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام ﴿قال ابن شبة﴾ كانت بالمدينة امرأة يقال لها صهباء من أحسن الناس وكانت من هذيل وكانت رتقاء فتزوجها ابن عم لها فكثت حينا لا يقدر عليها الشدة ارتقاقها فابغضته بغضا شديدا فطلبت منه الطلاق فطلقها ثم انه أصاب أهل المدينة مطر شديد فى الخريف وسيل عظيم فخرج اليه أهل المدينة وخرجت صهباء مع أهلها وخرج ابن جحش وأصحاب له للنزهة فلما انتصف النهار وخلا الوادى خرجت صهباء واستنقعت فى السيل وخرج ابن جحش ولم تشعر به صهباء فرآها وأحبها وتهالك عليها وكان بالمدينة امرأة دلالة على النساء يقال لها قطبة وكانت تداخل القرشيين بنسائهم فلقيها ابن جحش فسألها عن صهباء فقال اخطبيها على قالت قد خطبها عيسى ابن طلحة بن عبيد الله وأنعم له بها أهلها ولا أراهم يتخطون عيسى اليك فشتمها ابن جحش وقال كل مملوك لى حر لوجه الله ان لم تحتالى فيها حتى أتزوجها الا ضربتك ضربة بالسيف وكان مقداما جسورا ففزعت منه فدخلت على صهباء وأهلها فحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء ما بالله فارقها فاخبرتها خبره فاصغت الى عمتها فقالت لها وأسمعت صهباء أما والله لو كان ابن جحش لنقبها نقب اللؤلؤة ثم خرجت من عندهم فأرسلت اليها صهباء ان مرى ابن جحش فليخطبنى فلقيت قطبة ابن جحش فأخبرته بالخبر فخطبها فأنعمت له وأبى أهلها الا عيسى بن طلحة وأتت صهباء الى ابن جحش فتزوجها وافتضها من ساعته وفيها يقول

دار لصهباء الذى لا ينتهى * عن ذكرها أبدا ولا ينساها

صفراء يطويها الضجيع لطافة * طي الجمالة لبنامثناها
نعم الضجيع اذا النجوم تغورت * بالقرب أنزاها على أولاها

﴿قالوا﴾ كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوي النعمة في ليلة من شهر رمضان في المسجد يصلي اذ عرض له في منزله بعض الامر فانصرف من التراويح فأصاب بابه مفتوحا واذا رجل مع ابنته في محلها يحدثها فاخذ بيده وذهب به الى منزل ابن أبي عتيق فدق عليه فاشرف عليه فقال أردت ان أكلمك جعلت فداك قال فانحدر اليه فقال له ان هذا الفتى وجدته في منزلي على حال كذا وكذا فزعم انه ابنك فأقبل ابن أبي عتيق فأخذ بيد التاجر فشكره وجزاه خيرا وقال لن يعود الى شيء تكرهه أبدا ان شاء الله فأخذ الفتى فلكزه وشتمه فلما ولى الرجل قال للفتى من أنت ويلك قال أنا ابن فلان التاجر وابتليت بابنة هذا التاجر فدخلت عليها في هذه الليلة أتحدث عندها فصار اعمى الا انه واقف على رأسي فلم أجد ملجأ الا ان اعتزيت اليك لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك قال اخبرني عن الجارية أتحبك قال نعم قال فهل يمكنك أن تأتي بها الى منزلي هذا قال نعم قال فعدها وائت بها وأمر غلامه وقال اذا جاءت المرأة التي يأتيك بها هذا الفتى فادخلها واجلس أنت مع الفتى وأرسل الي من يعلمني ففعل الفتى وأتى بالجارية الى المكان وأرسل الى ابن أبي عتيق يعرفه فأرسل الى أبي الجارية انك قد اصطنعت الي فتانا بدا وقد أحببنا ان نصنع اليك مثل ذلك في فتاتكم فادخله عليها فلما رآها استرجع فقال له ابن أبي عتيق ما هذا أهون عليك هذا الامر واقبل وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال الحقوا النساء باكفائهن ان هذا الفتى ليس والله لي بولدي ولكن هو قد انتسب الي لما أدرك من النجاة منك وهو فلان بن فلان التاجر وهو من نظرائها وأكفائها فهل لك ان تزوجه اياها وأصدقها عنه من مالي مائة دينار قال له نعم ولم يبرحوا حتى زوجها منه وأصدقها وأخرج المهر من عنده وسأله التعجيل بزفافها اليه ﴿وحكي﴾ عن ابن أبي

ورقاء الجبلي قال خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما صرت بأول مرحلة
نزل غلماننا فنزعوا بسطهم وهيئوا غداءهم ونزلت ولم يجئ أحد بعد
فرمانا الطريق برجل حسن الهيئة فاره البرذون فصحت بالغلمان
فأخذوا بتسه ودعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وجعلت لا أكرمه
بشيء الا فعله وكنا كذلك ساعة اذ جاء غلمانه ثم تناسينا فقال الرجل أنا
طريح بن اسمعيل الثقفي فلما ارتحلنا كنت في قافلة لا يدرك طرفها فقال
لي طريح ما حاجتنا الى زحمة الناس وليست بنا البهم وحشة ولا مخافة
فتأخرنا بعد القوم فنزلنا الى جانب نهر مظلل بالشجر فتغدينا ثم قمنا الى
النهر نستنقع فيه فلما نزع ثيابه اذا آثار داهية في جنبيه يلج فيها الكف
فوقع في نفسي منه شيء فنظر الي وفطن وتبسم وقال لي قد رأيت عجبا
منك لما رأيت ما بي وأنا أحدثك حديثه اذا سمرنا العشية فلما ركبنا قلت له
الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وما فيها وركبت الى
يوسف بن عمر ومع قرابتي منه فلا أيدي نخرجت من عنده الى الطائف
فلما اشتد بي الطريق وليس يصحبني فيه خلق عن لي اعرابي على قعود له
وهو حسن الحديث قد روى الشعر وأنشد لنفسه فقلت له من أين
أقبلت قال لا أدري والله قلت فالى أين تمت قال لا أدري والله قال فقلت
فما قصتك فقال أنا عاشق بجارية من قومي قد أفسدت عيشي وتلفت
فأنا أستريح بأن أتخدر في الطريق مع متخدريه وأصعد مع مصعديه قال
فقلت له وأين هي قال غدا تنزل بازائها وأخذ يحدثني بحديثه معها فلما
جئنا الى الموضع قال لي انزل ذلك المكان فانها عنده منقطعة فأدركني
أريحة الحداثة وأخذت منه علامة ما بينهما وقصدت حيث أشار لي فاذا
بيت جديد عن الطريق واذا امرأة جميلة حديثة طرية فذكرته لها
وريت رسالته وأمارته فرفرت زفرة كادت تتقطع أضلاعها قالت
أوحي هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن باتون
ومصطبحون قالت فاني أرى لك وجها يدل على الخير فهل لك في الاجر

وقلت فقيرا اليه قالت فالبس ثيابي وادخل في أريكتي ودعني حتى آتيه فانك تحيي نفسين وتغنم أجرا عظيما قلت أفعل ما تريدين قالت انك اذا أصبحت أتاك زوجي في هجعته فقال يا فاجرة فاوسعك شتما فاوسعه صمتا ولا تجعل انك سمعته فانه يقول في آخر كلامه اقمي سقاك يا عدوة فضع القمع في هذا السقاء الآخر فانه مخرق قال ومضت فجاء زوجها فعمل ما قالت وقال اقمي سقاك فجاءني الله ان تركت الصحيح وقمت الواهي فاشعر الاوالذين يتسبسب بين رجليه فمد الى زاوية البيت فتناول حبلا ثم ثناه على اثنين فصار على ثمان فجعل لا يتقي به رأسا ولا وجها ولا جنبا فخشيت ان يبدو له وجهي فألزمته الارض فعمل بجنبي وظهري ما ترى ومضى عني فلما كان الصباح جاءت فرأت ما حل بي من الشر فاكبت علي وقالت يا بني أحببت نفسي بقتلي نفسك ودخلت تعتذر وتتلهف لما بي وتدعو لي وتتضرع فأخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرهما عندي شيء (قد قدمنا في اخبار قيس بن ذريح) كيف كان سبب تطليقه لبنى وندمه عليها حتى ساءت حاله وتلف عقله واشتد مرضه وأشرف على حتفه فقال أهله لو زوجتموها لييأس منها وسألا عنها فخطبها رجل من قريش وحكم أباها في المهر فزوجه اياها فحملها معه الى المدينة فقال قيس

وقالوا تراها فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق
فليت وبيت الله اني عصيتهم * فأثبت في رضوانها كل موثق
وكانت حوض النار سبعين حجة * وكنت على ارساخ بحر مغرق
كأني أرى الناس المقيمين بعدها * نقاعة ماء الحنظل المتغلق
وتنكر عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطق

(قال) وخرج ابن أبي عتيق يريد العمرة فنزل بحي قيس بن ذريح فسألهم عنه فقال دلوني عليه فدلوه فلما رآه قيس أقبل عليه ورحب به وقال من أنت حياك الله وعافاك قال فانتسب له ابن أبي عتيق وقال له بين حديثك

لى تجدنى معينا لك على أمرك ان شاء الله فاستحى قيس من ذلك وامتنع
ساعة ثم جعل يحدثه حتى بلغ الى خبر القرشى فقال ياهذا انى خرجت من
منزلى أريد العمرة التماس الثواب وقد عزمت عند ما سمعت ان أترك
ما خرجت اليه فارجع معك احتسابا للاجر وبكر فامض معى أيها الرجل
وا كتم شأنك ولا يعلم أحد من أهلك فحمله معه وأقبل راجعا نحو المدينة
فاستقبله أهله واخوانه يسألونه عن سبب رجوعه فجعل يعتذر وهو
يقول لهم عاقنى عن ذلك عائق وأخفى قيسا فى منزله أياما ثم سأل عن
منزل القرشى فدل عليه فبعث مولاة له عجوزا الى ابنى تخبرها بقيس
وبما صار له من عشقها فقالت يعز على وما حياتى له أطاع أباه وفارقنى
فى غير جرم وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لى على نفسى وان كبدى
عليه لحرا وان عينى لغيرا مذ فارقته وانها لما علمت بمكانه اشتد ولهها حتى
أنكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيأ تنكره فجعلت
لا تجيبه جوابا وجعل يعتذر اليها فقال لها ما أراك الا ذكرت قيسا
فقالت له هيهات وأين أنا من قيس وأين قيس منى الله عن هذا الحديث
قال وبلغ العجوز ابن أبى عتيق ما سمعت من ابنى فقال لها عودى اليها
فقولى لها ان كنت على العهد فانك ستصلين الى ما تريدين قالت اى والله
لا أزال على عهده مقيمة أو يفارق روحى جسدى ولا أكافئه بسوء فعل
كان منه الى قال وأقبل ابن أبى عتيق ومعه جماعة من أشراف قريش
وغيرهم حتى أتوا منزل القرشى زوج ابنى فأكبر مجيئهم فقالوا انا جئناك
فى حاجة ولا سبيل الى ردنا عنها قال لهم قضيت حاجتكم قال ابن أبى عتيق
كائنة ما كانت قال له نعم قال فان حاجتنا ان تجعل أمر ابنى فى يدى قال
القرشى وهل رأيت أحدا سئل مثل هذا قال فهى حاجتنا وقد جئت
اليها قال فانى قد فعلت قال فيشهدون عليك ان أمرها فى يدى قال نعم قال
ابن أبى عتيق فاشهدوا انها طالق ثلاثا قال قد أجزت قال فبادروا حتى
نقلها ابن أبى عتيق الى منزله فلما انقضت عدتها زوجها من قيس

وأصدق عنه وجهزها بأحسن جهاز وحملها معه الى منزله فما لبثت عنده الا يسيرا حتى نهشته الافعى كما قدمنا في حديثه فمات وماتت بعده هكذا رواه أحمد بن أبي طاهر ولست أدري صحة هذا الحديث لانا كنا قدمنا في حديثه ما يخالف هذا من انه لم يتزوج بها ثانيا ﴿وحكى﴾ الهيثم ابن عدي عن الكلبي قال كان ملك النعمان ابن المنذر أربعين سنة لم ير منه في ملكه سقطة غير هذه وذلك انه ركب يوما فنظر الى امرأة خارجة من الكنيسة فأعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال على بعدي بن زيد وكان كاتبه وخاصته فقال له ياعدي قد رأيت امرأة لئن لم أظفر بها انه هو الموت فلا بد في ان تتلطف في الجمع بيني وبينها قال ومن هي قال قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف رجل من أشراف أهل الحيرة قال فهل أعلمت بذلك أحدا قال لا قال فاكتمه فاذا أصبحت فجد بكل كرامة لتزيلك يريد حكم بن عوف فلما أذن للناس بدأ به وأكرمه وأجلسه معه على سريره فأعجب الناس حاله وتحدثوا به فلما أمسى فأذن للناس بدأ به فأكرمه وأجلسه معه وكساه وحمله ففعل به ذلك أياما ثم قال له عدي أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق أقلهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال له ياحكم اني قد طلقت فلانة لك فتزوجها فقال حكم لعدي ماصنع الملك بأحد ما صنع بي ولا أدري بما أكافئه فقال عدي طلق امرأتك كما طلق امرأته ففعل وحظي عدي بها عند الملك وعلم الرجل انه مكر به في امرأته وفيها يقول بعض أهل الحيرة

ما في البرية من أنثى تعادلها * الا التي أخذ النعمان من حكم

(وحدث الزبير) انه كان فتى من عذرة يقال له عمرو بن عود وكان عاشقا لجارية من قومه تسمى ريا بنت الركين فتزوجها رجل منهم يقال له دهيم فأبت ريا الا حب عمرو بن عود وأبى الا حبها وقول الشعر فيها والوجد بها فخرج زوجها حتى أتى اليمن فنزل في بني الحارث بن كعب فطلبها عمرو فخفي عليه أمرها ولم يعلم لها خبرا ولا موضعا فمكث حينا ما به يبكي له

من عرفه لوعته وشدة ما أصابه فخرج به أهله الى مكة لعله يتعلق باستار الكعبة عسى ان يرحمه ربه و يذهب ما في قلبه من حبها فلما كان بمنى نظر اليه فتى من بني الحرث بن كعب فتعجب لشبابه وجلس يتحدث معه وسأله عن حاله فشكى اليه عمرو وجده بها وأنشده ما قال فيها فرق له الفتى ورحمه وسأله عن صفتها وصفة زوجها فوصفها له فقال له الفتى عندي خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين قليلة تخرج عمرو ساجدا ثم سأله عن حالها فأخبره انها سائلة وانها باكية حزينة لا يهنيها شيء من العيش قال عمرو فهل لك في صنيعة عندي فقال له الفتى اذن افعل ما بدا لك قال تتخلف عن أصحابك وأتخلف عن أصحابي حتى لا يكون عند أحد منهم علم ثم أمضي معك متنكرا حتى تخفيني في موضع ثم تعلمها بمكاني قال الفتى لك ذلك في عنقي فلما كان النفر تخلف كل واحد منهما عن أصحابه فجهد أصحاب عمرو أن لا يتخلف وان يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا ثم مضيا حتى وصل به الفتى فادخله مع أخته وامرأته في سترها ومضى الى رباب فاخبرها فكانت تجيء اليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء و يتحدثان فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت ولم تكن تغشاه ولا تعرف أهله واستراب أيضا تطييب نفسها وانها ليست كما كانت وخرجت رفقة الى حران فاخبرها انه خارج معها فخرج وأقام ليلتين مختفيا في موضع وأقبل راجعا في الليلة الثالثة وقد أمناه وظنا انه قد خرج فأتى عمرو الى رباب فبسطت له بساطا قدام البيت ونحت ناحتي عليهما النوم وهي مضطجعة الى جانب البساط وعمرو الى الجانب الآخر وأقبل الرجل حتى وجدهما على تلك الحال فنظر في وجه عمرو فانتبه فزعا فقال له ويلك يا عمرو وما ينجيني منك بر ولا بحر فقال يا ابن عمي ما أنا والله على ريبة ولا يسألني الله عن أهلك عن قبيح ولكن نشأت أنا وهي وألفتها ونحن صبيان ولست أستطيع عنها صبرا وما بيننا أكثر من هذا الحديث الذي ترى قال أما أنا فلم أهرب الى هذا البلد الا منك فانصرفا راجعين

وهى معهما حتى قدما على وطنهما فأقاما وهما على تلك الحالة فمات عمرو
وجدا بها فكانت لا تزال باكية عليه حتى ماتت بعده بيسير ﴿حكى﴾
سنة ابن عقال عن الشعبى قال حدثنى رجل من بنى أسد قال انى لذات يوم
فى الحى اذ أقبل فتى نظيف الثوب حسن الوجه حتى وقف بى فقال يا فتى
هل نزل بك حى من بنى عذرة قال قلت نعم وتيك بيوتهم قال وهل
أحسست لى بكرة صفتها كذا وكذا قال قلت لا فنزل ثم قال أأنت منشدها
لى فى أبيات الحى قال فخرجت وأنا أنشدها حتى مررت بالبيوت وأنا
أنشد فقالت لى جارية عند الاكمة فاشرفت على الاكمة فلم أر شيأ فاخبرته
فاخرج سفرة معه ودعانى فأكلنا ثم نام وجعلت أراعيه حتى ظن انى قد
نمت فاخرج حلة من رحله فلبسها ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى أتى
الاكمة وأنا أتبعه من حيث لا يرانى فاذا بها قاعدة كأنها مهرة عربية
فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها يا بثينة قلت فيك كذا القيت فيك كذا
ولم يزل يحدثها وينشدها وتحدثه حتى اذا كان فى السحر وضع رأسه فى
حجرها فنام ساعة فلم يشعر الا بالفجر قد برق فقالت قم يا جميل لا يفضحنا
الصبح قال فرجعت مبادرا حتى رميت بنفسى فى الرحل وجاء فأيقظنى
ثم عمد الى ثوب من ثيابه فكسانيه فلم يزل جميل يغشانى فى كل نهار وليل
فاصير الى الحى وآتيه فآخذ ميعاد بثينة الى موضع يجتمعان فيه
ويتحدثان الى ان فطن بعض الحى بامرى فقالت لى بثينة انج بنفسك
فان الحى قد شعروا بك وقل لجميل موعدك وسكن البطن (١) وأتيته
فأخبرته فمضى وانقطع عنى خبره ﴿وروى﴾ عن يحيى بن خالد بن برمك
قال كنت أهوى جارية لى دنانير وهى مولاتها زهراء فلما وضع المهدى
الرشيد فى حجرى اشتريتها ثم أسرتنى من الدنيا مثل سرورى بها
وملكها فما لبثت الا يسيرا حتى وجه المهدى ابنه الرشيد غازيا الى بلد
الروم فخرجت معه فعظم على فراقها وأقمت لا أتهنأ بطعام ولا بشراب

(١) اسم موضع خارج المدينة قاموس

صبابة بها وذكرها فانا ليلة في مضربي وقد أصابني برد شديد وثلج كثير
وأنا أتقلب على فراشي أذكر الجارية اذ سمعت غناء خفيا وصوت عود
بالقرب مني فانكرت ذلك وجلست على فراشي فأسجاني الصوت من غير
ان أفهم حتى أبكاني فقمت ولم أوقظ أحدا من العسكر حتى انتهيت الى
خيمة صغيرة من خيام الجند فاذا فيها سراج فدنوت منها فاذا فتى جالس
واذا بين يديه ركوة فيها شراب وفي حجره عود يضرب ويتغنى بهذا الصوت
الا بالي قومي اطلقوا غل مرتهن * ومنوا على مستشعر الهم والحزن
ألم ترها بيضاء رود اشبابها * لطيفة طي البطن كالشادن الاغن
قال فكلما غنى بيتا بكى وتناول قدحا فصب فيه من ذلك الشراب وشرب
ثم يعود الى مثل ذلك قال فأقمت طويلا لا أرى ما يفعل وأبكي لبكائه ثم سلمت
فرد السلام واستأذنت فأذن لي فدخلت فلما رآني أجاني وأوسع لي
فقلت يا فتى خبرني بخبرك وما أنت فيه وما سبب هذا البكاء قال أنا فتى من
٣ الانباء لي ابنة عم قد نشأنا جميعا فعلقتها وعلقتني ثم بلغنا فحجبت عني
فسألت عمي ليزوجنيها فأجاب فكنت حينا أحتال لهرها حتى تهيأ
فاديته ودخلت بها فلما ان كان يوم سابعها ضرب علي البعث وخرجت
وبي من الشوق اليها ما لا أحده فحملت معي هذا العود فاذا أصبت شرابا
في بعض هذه القرى أخذت منه شيأ ثم أفعل ما ترى تذكارا اليها فقلت
فهل تعرفني فانكرني فما أدري أتعمدا أم حقيقة قال فقلت له أنا يحيى
ابن خالد فلما قلت له ذلك نهض قائما فقلت اجلس فاذا كان غدا فالقني
فهذا مضربي بالقرب منك فاني أصير منك الى ما تحب قال ووافق ذلك
رسولا قد هيأناه الى المدينة فما كان أسرع شيء حتى دنا الصبح وتهيأ
الناس للرحيل فاول من لقيني ذلك الفتى فابتدرت وجهه فقلت له من أنت
وفي قيادة من أنت فخبرني فمضيت حتى دخلت على الرشيد ومعي
المؤامرات فكنت آخرها على شمعة من عنوان يكون له فيها فقلت وفتى
من الانباء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة آلاف درهم

٣ هم قوم من العجم سكنوا اليمن اه قاموس

معونة له ويحجب فلانا الرسول ففعل ذلك وانصرف الى أهله ﴿حكى﴾ ابراهيم بن اسحق الموصلي عن أبي السائب المخزومي قال تعشق العرجي امرأة من قريش فحملني رسولا اليها فأتيتها برسالته وأخذت موعدها لزيارته الى موضع سماه ثم بكرت أنا فأتيت على أتان ومعها جاريتها وجاء على حمار ومعه غلام فتحدثنا ساعة ثم قمت عنهما فوثب عليها ووثب الغلام على الجارية والحمار على الاتان وعدت أسمع التخبير من كل ناحية قال فقال لي العرجي يا أبا السائب هذا يوم غابت عواذله قال أبو السائب فالى حسبة أرجو ثوابها لرجائي لذلك اليوم وثوابه ﴿قال﴾ كان عمر بن أبي ربيعة يتعشق امرأة يقال لها أسماء فوعدته أن يزورها فتهيأ لذلك يوما فأبطأت عليه فنام ولم يلبث ان جاءت ومعها جارية فضربت الباب فلم يستيقظ فانصرفت وحلفت أن لا تأتيه حولا فقال عمر فيها قصيدته التي أولها

طال ليلي وتعذى الطرب * واعتراني طول هم ونصب
أشهد الرحمن لا يجمعنا * سقف بيت رجبا حتى رجب
فبعثنا طيبة عائلة * تخلط الجد مرارا باللعب
ترفع الصوت اذا الانت لها * وتراخى عند سورات الغضب
فاجابت ناقتي وابتسمت * عن منيف اللون صاف كالشنب

فلما سمع ابن أبي عتيق هذه الابيات قال له الناس في طلب امام مثل قوادتك هذه فمتى تقتل على غايفدرون عليه ﴿قال حماد الراوية﴾ استنشدني الوليد بن يزيد شعرا كثيرا فما استعادني الا هذه الابيات وقال لي يا حماد اطلب لي مثل هذه أرسلها الى سلمى ﴿ويروى﴾ عن حماد الراوية قال أتيت مكة فجلست الى جماعة في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي واذا هم يتذاكرون العذريين وعشقهم ووصيانتهم قال عمر أحدثكم عن بعض ذلك انه كان لي خليل من بني عذرة وكان مشتهرا بحديث النساء فيتشبب بهن وينشدهن على انه لا عاهر الخلوة ولا مريح

السلوة وكان يوافى الموسم فى كل سنة فاذا أبطأ ترجمت له الاخبار وولفت له الاشعار حتى يقدم فيتحدث حديث محزون كئيب وانه راث أى أبطأ عنى خبره ذات سنة حتى قدم وفد عذرة فأتيت القوم وأنا أنشد عن صاحبى واذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال عن أبى المسهر تسأل قلت نعم عنه سألت قال هيهات هيهات أصبح والله أبو مسهر لا ميؤسا فيهمل ولا مرجوا فيعلل أصبح والله كما قال الشاعر

لعمرك ما حبى لاسماء تاركى * صحيحا ولا أقضى به فاموت

قلت له وما الذى به قال لى هو ميت موله قلت ومن أنت يا ابن أخى قال أنا أخوه قال قلت وما يمنعك ان تركب طريق أخيك الذى ركبه وتسلك مسلكه الا انك وأخاك كالوتى والبحار لا ترفعه ولا يرفعك ثم انصرف وأنا أقول

أرائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح فى القوم جعدبن مهجع

خليلان نشكو ما نلاقى من الهوى * متى ما يقل اسمع وان قال يسمع

فلا يبعدنك الله خلا فانى * سألقى كما لاقيت فى الحب مصرعى

فلما كان فى العام الآتى وقفت فى الموضع الذى كنا نقف فيه بعرفات فاذا شاب قد أقبل وقد تغير لونه وساءت هيئته فما عرفته الا بناقته فاقبل حتى اعتنقنى وجعل يبكى قلت ما هذا وما دهاك وما غالك قال برح الغرام وطول السقام وأخذ يشكو الى فقلت يا أبا مسهر انها ساعة عظيمة فلو دعوت الله كنت تظفر بحاجتك فجعل يدعو حتى اذا بدت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا سمعته يهمهم بشئ فاصغيت اليه مستمعا فجعل يقول يارب كل غدوة وروحه من محرم بعد الضحى واللوحه أنت حسيب الخطب يوم الدوحه قلت يا أخى وما الدوحة قال سأخبرك ان شاء الله فلما قضينا حجنا وأحللنا قلت له حدثنى بخبرك قال نعم أعلمك انى امرؤ ذو مال كثير من نعم وشاء وانى خشيت على مالى التلف فأتيت اخوالى فاوسعوا لى عن صدر المجلس فكنت فى عز اخوالى فخرجت يوما

الى مالى وهو ببعض مياههم وركبت فرسى وعلقت معى شرابا أهدى الىّ فانطلقت حتى اذا كنت بين الحى ومرعى النعم رفعت له دوحة عظيمة فقلت لو نزلت تحت هذه الشجرة وتروحت مبردا فنزلت وشددت فرسى بغصن من أغصانها ثم جلست وقدمت شرابى فاذا بغبار قد سطع من ناحية الحى فبدت لى ثلاث نخوص واذا فارس يطرد عنزا وأتانا فلما قرب منى اذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء واذا فروع شعره تنال كعبه فقلت فى نفسى غلام حديث السن راكب على فرس أعجلته لذة الصيد وأخذ ثوب امرأته ونسى ثوبه فما لبث ان لحق بالعنز فطعنه ثم عطف على الاتان فقتلها ثم قال

نطعنهم سلكا ومخلوجة * كرك الامين على نائل

فقلت له انك قد تعبت وأتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رحله وشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة ثم أقبل حتى جلس قريبا منى فجعل يحدثنى حديثا كأنه الدر ذكرت به قول الشاعر

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

قال فبينما هو كذلك اذ نقر بالسوط على ثنيتيه فرأيت والله خلل السوط بينهما فما ملكت نفسى ان قبضت على السوط قلت أخاف ان تكسرهما فانهما رقيقتان قال وهما مع ذلك عذبتان قال ثم رفع عقيرته وجعل يغنى

اذا اقبل الانسان ممن يحبه * ثنايا له لم يأثم وكان له أجرا
فان زاد زاد الله فى حسناته * مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

ثم قال لى ما هذا الذى علقت على سرجك قلت شراب أهداه الىّ بعض أهلى فهل لك فيه قال وما أكره منه فأتيت به فوضعته بين يديه فلما شرب منه نظرت الى عينيه كأنهما عينا مهاة قد أضلت ولدا فاذعرها فانص فعلم نظرى فرفع عقيرته وجعل يغنى

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

فقلت له من أين لك هذا الشعر قال وقع رجل منا بالعمامة فانشدنيه قال
ثم قمت لاصلح شأني من أمر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه
فاذا غلام كأن وجهه الشمس حسنا فقلت سبحانك اللهم ما أعظم
قدرتك وأجل صنعتك قال فكيف قلت له مما راعني من نورك وبهرني
من جمالك قال وما الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا ندري
أينعم بعد ذلك أم لا قلت بل يصنع الله بك خيرا ان شاء الله ثم أقبل على
فرسه فلما أقبل برقت لي بارقة من الدرع فاذا الذي كأنه حق فقلت
نشدتك الله امرأة قالت اي والله امرأة تكره العهر وتحب العزل فقلت
وأنا والله كذلك فجلست والله تحدثني ما أفقد من أنسها شيأ حتى مالت
علي الدوحة سكري فاستحسنت والله يا ابن أبي ربيعة الغدر وزين في
عيني ثم ان الله عصمني فما لبثت ان انتبهت مرعوبة فلاثت عمامتها برأسها
وأخذت زجها وجالت في متن فرسها فقلت زودني منك زادا فأعطتني
ثوبا من ثيابها فشممت منه كأرواض الممطور ثم اني قلت أين الموعد
فقالت ان لي اخوة شوسا وأباغيورا والله لان أسرك أحب الي من ان
أضرك قال ثم مضت فكان والله آخر العهد بها الى يومي هذا فهي التي
بلغت بي هذا المبلغ وأحلتني هذا المحل قلت له والله يا أبا المسهر والله ما كان
يحسن الغدر الا بك فاذا به قد أخضلت لحيته بدموعه باكيا فقلت والله
ما قلت هذا الا مازحا ودخلتني له رقة فلما انقضى الموسم شددت على
ناقتي وشد على ناقته وحملت غلاما لي على بعير وحملت عليه قبة ادم حمراء
كانت لابي ربيعة وأخذت معي ألف دينار ومطرفا ثم خرجنا حتى أتينا
كلبا فسألنا عن الشيخ فاذا هو في نادي قومه فسلمت فقال وعليك السلام
من أنت قلت عمر بن أبي ربيعة المخزومي قال المعرف غير المنكر فما الذي
جاء بك قلت خاطبا قال أنت الكفء الذي لا يرغب عن حسبه والرجل
الذي لا يرد عن حاجته قلت له اني لم آتك عن نفسي وان كنت موضع
الرغبة ولكن أتيتكم في ابن أخيكم العذري قال والله انه لكفء الحسب

غير ان بناتي لا يفعن الا في هذا الحي من قريش فعرف الجزع في نفسي وتبين له في وجهي وقال أنا أصنع لك شيأ لا أصنعه لغيرك قلت ما هو قال أخيرها لانك أنت تختار لغيرك فأومأ الى صاحبي ان أمره ان يخيرها فقلت افعل ثم مضى الشيخ وقد أتى وقال انها قالت ان الامر أمرك والرأي للقرشي يختار لي ما رأى فحمدت الله عز وجل وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم وقلت قد زوجت الجارية بمحمد بن مهجع وأصدقتها ألف دينار وهي هذه وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف فقبله وسألته ان يبني بها من ليلته فأجابني الى ذلك وضربت القبة في وسط الحي وأهديت اليه ليلا وبت عند الشيخ خير مبيت فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة فخرج الي فقلت له كيف كنت بعدي وكيف هي فقال أبدت لي كثيرا مما أخفت يوم رأيتها فقلت علمك أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت الى أهلي وأنا أقول

كفيت أخي العذري ما قد أصابه * ومثلي لا تنكال النوائب أجمل
أما استحسنت مني المكارم انها * اذا عرضت اني أقول وأفعل

﴿وحكى المدائني﴾ ان رجلا من بني عقيل كان يسمى صخرا وكانت له ابنة عم تدعى ليلى وكان بينهما حب مبرح ولم يكن أحدهما يصبر عن الآخر ساعة واحدة وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة ثم ان أبا صخر زوج صخرا لامرأة من الازد وصخر لذلك كاره فلما بلغ ليلى الخبر قطعته فمرض صخر مرضا شديدا فكان أهله يقولون صخر به ليلى لما كانوا يرونه يصنع بنفسه وكانت ليلى أشد وجدا به وحبا له فأرسلت جارية لها اليه وقالت لها اذهبي الى مكاننا وانظري هل ترى صخرا فاذا رأيته فقولي له

تعللن بغير ذنب يصرم * قد كنت يا صخر زما تزعم
اذلك مشغوف بنا متيم * حتى بدا منك لنا المحجم

قال فأتته الجارية فبلغته قولها وجدته كالشن البالي وجدا وحزنا

فقال قولي لها

فهمت الذي عبرت والله شاهد * لما كان عن رأي ولا كان عن أمري
فان كنت قد سميت صخرا فانني * لاضعف عن حمل القليل من الهجر
ولست ورب البيت أبغي سواكم * حبيبا ولو عشنا الى ملتقى الحشر

فقالت له الجارية يا صخر ان كنت كارها التزويج أبيك لك فاجعل أمر امرأتك بيدي لتعلم ليلى انك لغيرها قال ولعهدها راعٍ وانك كنت مكرها قال قد فعلت قالت فهي طالق منك ثلاثا وأخبرت ليلى فاظهرت من ذلك جزعا وتراجعا الى ما كانا عليه من اللقاء والجارية تختلف بينهما ولم يظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له أبوه يا صخر الا تبتني بأهلك قال وكيف وقد بانت مني في يمين حلفت بها فاعلم أبوه أهل المرأة فقالت المرأة تجول ليلى

ألا بلغا عني عقيلا رسالة * فقال العقيل من حياء ولا فضل
نساؤكم شر النساء وأنتم * كذلك ان الفرع يجري على الاصل
أما فيكم حر يغار باختـــه * وما خير حر لا يغار على الاهـل

قال وهجتها ليلى حتى شاع خبرهما وسمعت الجارية الى أهل صخر وأهل ليلى وما هما عليه وانهما يخاف عليهما من لؤم الفعل ولم تزل حتى جمعت بينهما وتزوجها ❊ وحكى الاصمعي ❊ قال خرج المهدي حاجا حتى اذا كنا ببعض الطريق اذا اعرابي يقول يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أنا عاشق وكان المهدي يحب ذكر العشاق وحديثهم فوكل به بعض الغلمان فلما نزل أمر باحضاره قال أنت المنادي قال نعم يا أمير المؤمنين قال له ما اسمك قال أبو مياس قال أمير المؤمنين من عشيقتك قال له ابنة عمي وقد أبى علي أبوها ان يزوجنيها قال لعله أكثر منك مالا قال انا أكثر منه مالا قال له فما قصتك قال له أدن رأسك مني فجعل المهدي يضحك وأصغى اليه برأسه قال له اني هجين قال له ليس يضرك ذلك اخوة أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء قال له وأين عملك قال له على ثلاثة أميال قال فارسل

أمير المؤمنين في طلبه بقي عبه فقال له مالك لا تزوج أبا عباس فاني أرى عليه نعمة قال متاع سوء وليس مثلي يزوج مثله قال فان الذي كرهت ليس مما يعاب به عندنا وأنا معط صداق ابنتك عشرة آلاف درهم ومعوضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم قل فذلك له قال فخرج أبو عباس وهو يقول

ابتعت ظبية بالغلاء واغما * يعطى الغلاء لمثلها أمثالي
وتركت أسواق القباح لاهلها * ان القباح وان رخصن غوالي

﴿ قال سعيد الصغير ﴾ كان المنتصر بالله في أيام امارته وجهني الى مصر في بعض أمور السلطان فاعترضت عند بعض النخاسين جارية تامة المحاسن حاذقة بالغناء فابى مولاها ان يأخذ مني الا ألف دينار ولم تكن تحضرني ولا وجدت ان أقرضها وأزعجني الشخوص وقد علقها قلبي وأخذني المقيم المقعد من حبها فلما قدمت الى المنتصر وعرفته ما بعثني فيه سألني عن حالي وخبري فاخبرته بمكان الجارية وكافي بها وقصتي مع مولاها فاعرض عني وصار ملبي يزداد ولم أملك صبرا وجعل المنتصر كلما دخلت وخرجت من عنده يذكرها ويهيج أشواقي اليها ويعيرني بقلة الصبر عنها وكان قد أمر ابن الخصيب ان يكتب الى مصر في شرائها وحملها اليه من حيث لا أعلم ولا أدري فلما سارت اليه وعرضت عليه أمرها فغنت وعذرني فامر قيمة جواريه فاصلحت من شأنها فلما ذهب عنها ألم السفر استجلسني يوما وهو على فراشه فلما غنى جواريه كانت آخرهن فلما سمعتها عرفتها وكرهت ان أعلمه حتى ظهر علي ما كتمت وغلب على الصبر فقال لي مالك يا سعيد قلت خير أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا لعلمته اني سمعته منها فاستحسنه من غنائها فغنته فقال هل تعرف هذا الصوت قلت اي والله أيها الامير فما تكون المعرفة وقد كنت أطمع في صاحبته فاما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده وجالب حتفه الى حياته قال والله يا سعيد ما اشتريتها الا لك وما يعلم الله اني رأيت

لها وجها الا الساعة التي أدخلت علي وانما تركتها حتى استراحت من تعب السير وهي لذلك فاكبت على رجليه ودعوت له بما أمكنني من الدعاء وشكره عني من حضر من الجلساء وأمر بها فحملت الى منزلي فما أحد أحظى عندي منها ولا الى ولد أحب الي من ولدها ﴿ ومن أحاديث المؤلفين ﴾ ما حكاه أبو الحسن المدائني قال كان بمكة سفيه يجمع بين النساء والرجال على قبح الريب وكان من قريش ولم يذكر اسمه قال فشكا أهل مكة ذلك الى الوالي فنفاه الى عرفات فاتخذ بها منزلا ودخل مكة مستترا فلقي خرقاوة من الرجال والنساء فقال لهم وما يمنعكم مني قالوا له وأين بك وأنت بعرفات قال لهم حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا انه لصادق فكانوا يأتونه فكمن له ذلك حتى أفسد على أهل مكة احداثهم وسفهاءهم فعادوا بالشكاية على أميرهم فارسل وراءه فاتي به فقال أي عدو الله طردتك من حرم الله عز وجل فصرت الى المشعر الاعظم تفسد وتجمع بين الخبائث فقال أصلح الله الامير يكذبون علي ويحسدونني فقال الوالي بيننا وبينه واحدة تجمع حمير المكارين وترسلها نحو عرفات فان قصدت داره فما اعتادت من السير اليها فالقول كما قلنا والا فالقول كما قال فقال الوالي ان في هذا الدليل لا وأمر بحمير المكارين فجمعت ثم أرسلت فقصدت نحو منزله وجاءه بذلك امناؤه فامر بتجريده فلما نظر الى السياط بكى فقال له ما يبكيك يا عدو الله قال والله أصلح الله الامير ما من الضرب جزعت ولكن يسخر منا أهل العراق ويقولون ان أهل مكة يجيزون شهادة الحمير فضحك الوالي وأمر بتخليته ﴿ قال المدائني ﴾ كان مزيد يسبق الحجاج في كل عام الى الحج وكان يأتي الى المدينة في ثلاثة أيام على راحلته فتأخر مرة عن وقته الذي كان يجيء فيه لعلة أصابته وكان لامرأته صديق صواف فلما تأخر ظن الصواف انه قد مات فأقام عندها ولم يبرح وجاء مزيد فدخل على الوالي فاخبره ومضى الى منزله فلما رأى انه قريب من الباب تطلع من كوة واذا الصواف مع

امرأته في البيت فلم يستفتح فمضى الى المخنثين فدعاهم فأتوا معه فوقفوا على بابه وأمرهم فضربوا طبولهم وزمروا فاجتمع الناس من كل ناحية فاقبلوا يقولون له يا أبا اسحق أشيء حدث فيقول لهم تزوجت امرأتي فقالوا له ما بك وما هذه القصة فلم يخبرهم بشيء فوقف الصواف خلف الباب وقال يا أبا اسحق ان أكلك فدنا منه فقال اتق الله في الفضيحة وأنا أفتدي منك قال له ارددعلي مهرها وتفتي عليها فقد أفسدتها قال وكم ذلك قال خمسون دينارا فكتب رقعة الى غلامه في السوق فبعث بها من قبض المال وجاءه فقال أي بني تفرقوا انما كنت أمزح فقنع رأس الصواف وأنزله وقعد مع امرأته وسكت ﴿قال أبو عثمان الجاحظ﴾ كان عندنا بالبصرة مخنث يجمع بين الرجال والنساء في منزله وكان بعض انها البسة يتعشق غلاما فلم يزل المخنث يتلطف له حتى أوقعه قال فلقيته من غد وقد بلغني الخبر فقلت له كيف كانت وقعة الجمرانة فقد بلغني خبرها قال لما تداني الاقوام وقع الالتزام ورق الكلام والتفت الساق بالساق ولطخ ناطها بالبصاق وجعلت الرماح تخور وقرع البيض بالذكور وشفيت حرارات الصدور ومال كل واحد فاصيبت مقاتل كل هجر وانعقد الوصل واتصل الحبل فلو كان قد أعد هذا الكلام لمستلقى قبل ذلك بدهر كان قد أجاد وملح ﴿وحكى﴾ محمد بن سلام عن يونس قال حج سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة بألف دينار وكان اسمها العالية فلما رحل بها قال الحرث بن خالد المخزومي

ظعن الامير باحسن الخلق * وغدا بليل مطالع الشرق
وبدت لنا من تحت كلتها * كالشمس أو كغمامة البرق

قال وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال لقد هممت ان أحجر على سليمان فبلغ سليمان ذلك فانقاد وردها على مولاها فاشتراها رجل من أهل مصر من مولاها باربعة آلاف دينار ورحل بها الى مصر وكانت في نفس سليمان الى ان ولي الخلافة فقالت له يوما سعدى بنت عبد الله بن عمر

ابن عثمان زوجته يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه قال نعم
حبابة فارسلت سعدى رجلا الى مصر فاشتراها بخمسة آلاف دينار
وسار بها الى سعدى فاستأذنت سليمان ان تتنزه في بستانه بالغوطة وان
يزورها اذا استزارته فاذن لها فصنعت حبابة وهيأتها وأعلمها امكانها
من قلب سليمان وضربت له قبة وشى وفرشتها ثم أرسلت الى سليمان
تستزيره فزارها وقد أجلست حبابة وراء سرير وقالت له يا أمير
المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه قال نعم حبابة قالت يا أمير المؤمنين
اني قد أخذت لك جارية ذكرت انها قد أخذت عن حبابة فهل لك ان
تسمعها قال ان شئت قالت غني يا جارية فغنت سليمان صوتا كان سليمان
قد سمعه منها بالمدينة قال فلما سمعه قال حبابة ورب الكعبة فقالت هي
حبابة ولك اشتريتها فسأنك بها فقامت وانصرفت وخلتهما فكان سليمان
لا يزال يشكر سعدى على ذلك وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ان عليا
عليه السلام ولى زيادا فارس حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب
بعضهم ببعض حتى غلب عليها ومازال يتنقل في كورها حتى أصلح أمر
فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بشر بن ارطاة
ابنته وكتب اليه يقدم عليه ليقتلها ان لم تدخل في طاعة معاوية وتوفى
علي عليه السلام فكتب الى معاوية يدعوه الى طاعته وان يقره على
عمله ويستخلفه اذا كان أبو مريم السلولي شهد عنده انه جمع بين أبي
سفيان وسمية في الجاهلية على الزنا وكانت سمية من الزانيات بالطائف
تؤدي الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بموضع ينزل فيه البغايا
بالطائف فقال له كره ترك المشورة من الى فشاور زياد المغيرة بن شعبة
قال ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يعدأ حد
اليه يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذ لنفسك وانقل أصلك
الى أصله وصل حبلك بحبله وأعر الناس منك اذنا صماء وعينا عمياء فقال
له زياد يا ابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه في غير منبته لا أصل له

يغذيه ولا ماء يسقيه وعزم على ذلك وقبل رأى المغيرة وقدم على معاوية فارسلت اليه جويرية عن أمر معاوية فاتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يديه وقالت أنت أخي أخبرني بذلك أبي ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام أبو مريم السلولي فقال أشهد ان أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال ابغني بغيا فاتيته فقلت له لم أجد الا سمية جارية الحرث بن كلدة فقال ائتني بها على ذفرها وقذرها فقال زياد مهلا انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم ابغضتموني كان أحب الي فاشهدت الا بما عاينت ورأيت فوالله لقد أخذ بكم درعها وأغلق الباب عليها وفعلت فلم ألبث ان خرج علي يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها وذفر فرفقها فقال زياد أيها الناس هذا الشاهد قد ذكر كما سمعتم ولست أدري حق ذلك من باطله ومعاوية واليهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن الثقفي فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لاطيرن بك طيرة بطيأ وقوعها هل الا الى الله أقع قال نعم فاستغفر الله فقال ابن مفرغ ويقال انها لعبد الرحمن بن أم الحكم وتمثلها ابن مفرغ

ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة على الرجل اليماني
اتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زان
فاشهد ان أمك من زياد * كأكل الفيل من ولد الاتان

ورروى الهيثم بن عدي ان الحسن بن علي تزوج حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان المنذر بن الزبير يهواها فبلغ الحسن عنها شيأ أنكره فطلقها فخطبها المنذر فابت ان تتزوجه وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته فرمى اليه المنذر بن الزبير عنها شيأ فطلقها وخطبها المنذر فابت أن تتزوجه فدس اليها امرأة من قريش

فأتتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر وأعلمتها أنه قد شهر بحبها فقالت قد خطبني فآليت أن لا أتزوجه قالت ولم ذلك فوالله انه لفتى قريش وشريفها وابن شريفها قالت شهرني وفضحني قالت لها فالآن ينبغي ان تتزوجيه ليعلم الناس ان كلامه كان باطلا فوقع في نفسها كلامها وجاءت المرأة الى المنذر فقالت اخطبها فقد أصلحت لك قلبها فخطبها فتزوجته فعلم الناس انه كان يكذب عليها وكان في نفس الحسن منها شيء وكان اغاظها لها أبلغه عنها المنذر فقال الحسن يوما لابن أبي عتيق هل لك في العقيق قال نعم فعدل الحسن الى منزل حفصة فدخل عليها فتحدثا طويلا ثم خرج ثم قال لابن أبي عتيق يوما آخر هل لك في العقيق يا ابن أبي عتيق فقال له الا تقول هل لك في حفصة فتصير اليها على علم وأسعى لك منها فيما تحب فقال الحسن استغفر الله ﷻ ويروى ﷺ ان عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فعشقها وأحبها حبا شديدا حتى منعته عن حضور الصلوات في جماعة فامره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها ففارقها فوجد عليها وجدا عظيما فامره أن يراجعها فراجعها وكانت عنده حتى توفي عنها وكان قد أخذ عليها يمينا أن لا تتزوج بعده فجاءها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأفتاها ان تنكح فقالت لست أقبل في هذا كلامك وحدك لانه بلغها انه يريد ان يتزوجها فجاءها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فافتاها بذلك فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجته فبعث اليها بعشرين دينارا كفرت بها عن يمينها ثم توفي عنها فخطبها طلحة بن عبيد الله فلقي الزبير ابن العوام هناد بن الاسود وكان لهناد امرأة منكرة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير ما أنا عندك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد قال فخلف هناد لامرأته ان هي لم تزوج الزبير لعاتكة ليطلقنها ثلاثا جلدة فاطاقت امرأة هناد لعاتكة وكانت عندها حتى اذا أتاها رسول طلحة بن عبيد الله فقالت له فديتك ومن يرد طلحة لقدمه وشرفه وسخائه

ولكن ردي رسوله اليوم فانه سيزيدك ضعفا ما أراد يعطيك فردته فقالت امرأة هناد لهناد الق طلحة فقل له اما تستحي ان عائشة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك ففعل ذلك فقال طلحة لا أتزوجها أبدا فامرت الزبير ان يرسل اليها فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد قد بلغك ما في حق الزبير من الشدة أما والله لو تزوجته ثم غلبت عليه ليكونن لك بذلك الشرف في نساء قريش ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير وسنذكر بقية خبرها في موضعه بعد هذا ان شاء الله (قال اسحق) بن ابراهيم الموصلي كان ابن زهير المدايني مخنثا وكان يؤلف بين الرجال والنساء وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من لم يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في المتعة شيأ قال فواعد رجل صديقة له الى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة وجاء الرجل فتعشيا فقالت المرأة اشتهي نبيذا فقال صاحبها لابن زهير اطلب لنا نبيذا قال من أين لنا النبيذ في هذه الساعة قال لا بد منه فلما ألح عليه عمد الى حمض فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاءه به فقال والله ما وجدنا غيره هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقه فوجده مرا فكره ان يعيبه فيكرهه اليها فشرب ثم صب فسقاها فلما صار في بطنه تحرك فقال لابن زهير أين المخرج فصعد الى ان حركها بطنها فصعدت الى ان تحرك بطنه فصعد فلم يزالا كذلك ليلتهما فقال ابن زهير امرأته طالق ان كان التقيا الا على الدرجة حتى أصبحا وهما يختلفان وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لانهما يظنان النبيذ في منزل ابن زهير الفواد بعد العتمة (وكان) جميل أيضا لما اشتهر في بثينة توعده أهلها فكان يأتيها سرا فجمعوا له جمعا يرصدونه فقالت بثينة يا جميل احذر القوم فاستحثني وقال في ذلك

ولو أن الغادون بثنة كلهم * غياري وكل حارب من مع قتلي
لحاولتها امانهارا مجاهرا * وامامسري ليل وان قطعوا رجلي

فالتقى جميل وكثير فشكا كل واحد منهما الى صاحبه انه محصور

لا يقدر ان يزوره فقال جميل لكثير أنا رسولك الى عزة قال فأتهم فانشدهم ثلاث نوق سود مرون باقتاع ثم احفظ ما يقال لك قال فأتاهم جميل ينشدهم فقالت له جاريتها لقد رأينا ثلاثا سودا مرون عهدي بهن تحت الطلحة فانصرف جميل حتى أتى كثيرا فاخبره فاقاما فلما كان نصف الليل أتيا الطلحة فاذا عزة وصاحبتها قد افتحدثا طويلا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميل جميلا وكان كثير دميما فغضب كثير وغار وقال لجميل انطلق بنا قبل ان نصبح فانطلقا ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة قال في أول الصيف وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت معها جارية ترحض ثيابا قال فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها بسبك قال كثير خرجنا نرمي الجمار فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالعني زوجها فسمع مني انشادا فقال لعزة اسقيه فقالت ما أراك الا تريدان تفضحني فالح وحلف عليها فقالت مكرهة المنشد بعض بظر أمه فقلت

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

فقالت بثينة أحسنت يا كثير وقالت أيضا لعزة أعانتهن فيها وانشدتها

فقلت لها يا عز ارسل صاحبي * على بعد دار والموكل مرسل

بان تجعلي بيني و بينك موعدا * وان تأمريني بالذي فيه أفعل

وآخر عهد منك يوم لقيتكم * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة يا جارية أيضا حيطيا من الروضات لسذج لكثير غريضا من الهبم فراح الى جميل فاخبره ثم ان بثينة قالت لبنات خالتها وكانت اطم أدنى البهن وتطلعهن على حديثها اخرجن بنا الى الدومات فان جميلا مع كثير وقد وعدته فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة وصواحبها فباربن حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ولا قوما أحسن من فهم أحدهما من صاحبه ما أدري أيهما كان أفهم * قال أبو عثمان الجاحظ * اذا ابتلى الرجل

بعجبة امرأة لنظرة نظر اليها ولحظة لمح منها ولم يكن يزوج مثله مثلها وكانت ممتنعة فالحيلة في ذلك ان يرسل اليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن ان تكون كتومة السر وان تكون خداعة لها معرفة بالمكر وان تكون فطنة متيقظة وان تكون ذات حرص وان تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج الى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليها بان تكون اما بياعة طيب أو قابلة أو صانعة لآلة العرائس وتقدم اليها أرق وألطف ما تقدر عليه ولا تدع شيأ من الشكوى واللطف وتخبرها ان نفسه في يدها وانها ممثلة بين عينيه وأنه لا ينسى ذكرها وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه وأنه ان لم ير منها نظرة أو خلوة هلك وانه لم يمنعه من خطبتها الا خشية الامتناع من أهلها ان كان دونهم في الحسب والجاه والمال وخوف التمنع منها هي أيضا فانها اذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع ان تمكنه بحال ان قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها فاذا شاوروها في ذلك رضيت وقد تمكن قوله من قلبها فوصل منها الى ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام ﴿ وقال هرون بن المنذر ﴾ رأيت عطيطا المغني يضرب جواريه على انه ليس لهن من يعشقهن فقلت له ويحك أما تتقي الله أي ذنب لهن في هذا ما أهون عليك قال اذا أردت أن أشتري كسوتهن من أين قلت تكسوهن لانك مولاهن فقال ومالهن الزواني الا يجعلن كسوتهن عليهن فقلت انكن سمعتن ما قال قلن نعم والله ونجعل له أولادا قال فتنفس وقال يقولون مالا يفعلون ﴿ قال الزبير بن بكار ﴾ خرج أبو السائب المخزومي وعبد الله بن جندب الى موضع يتنزهان فيه فلقيا ابن المولى الشاعر فصاح به ابن جندب فقال ما شأنك وأنشد

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة * لها ولا ليلى لذي الود تبذل
وأخضع للعتبى اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذي أتنصل

وقد زعمت انى سلوت وانني * بتاتي عن انيانها متعلل

قال ابن جندب من ليلى هذه امرأته طالق ان لم أقدها قال هي والله يا أخي فرمى سميته الليلى ﴿قال الزبير بن بكار﴾ قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أحنّ اذا رأيت حجال سعدى * وأبكي ان سمعت لها حنينا

وقد أزف المسير فقل لسعدى * فديتك اخبري ماتأمرينا

قال فسمعه ابن أبي عتيق فخرج حتى أتى الحيان من أرض غطفان ثم أتى خيمة سعدى فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها ماتأمرين به قالت آمره بتقوى الله ﴿أبو غسان المهدي﴾ قال مر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بطريق من طرق المدينة فاذا جارية تطحن وتنشد

وعشقته من قبل قطع تمائمي * متمايسا مثل القضيب الناعم

وكأن نور البدر سنة وجهه * يغمى ويصعد في ذؤابة هاشم

فدق عليها الباب فخرجت اليه فقال ويلك أحرة أم مملوكة قالت مملوكة يا خليفة رسول الله قال فمن هو قال فبكت ثم قالت يا خليفة رسول الله بحق القبر الا انصرفت عني قال وحقه لأريم مكاني أو تعلميني فقالت

وأنا التي لعب الغرام بقلبها * فبكت بحب محمد بن القاسم

قال فسار الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وقال هؤلاء فتن الرجال فكم مات بهن كريم وعطب عليهن سليم ﴿وكان﴾ فتى من أهل الكوفة عاشقا لجارية وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدوه ورصدوه فلم يقدر على الوصول اليها فواعدها في ليلة مظلمة أن تسير اليه وأتى فتسور عليها الحائط فلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسري وقالوا له انه لص تسور علينا من الحائط فسأله خالد عن ذلك فكره ان يجحد السرقة فيفضح الجارية فقال له أسارق أنت قال نعم أصلح الله الامير فأمر بقطع يمينه

وحكى ان الجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الابيات

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما يجني عمدا لانه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه * لالفيت في أمر الهوى غير ناطق
اذا مدت الغايات في السبق للعلى * فأنت ابن عبد الله أول سابق

ثم حذف الرقعة فوقعت في حجر خالد فقرأها ثم أمر بالفتى الى السجن وصرف القوم فلما خلا مجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرفه فبعث الى أبي الجارية فقال قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه قال خوف العار قال لا عار عليك في ذلك والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره فسأله أن يزوجه ففعل فدفع اليه عن الفتى خمسة آلاف درهم وأمره بتجهيل اهدائها اليه ﴿وسأل رجل بعض العلماء﴾ عن الواصلة فقال اذهب فانظر قال فأتت عائشة رضي الله عنها ليست الواصلة التي تعنون لانهم كانوا يقولون الواصلة ان تكون المرأة بغيا في شبيبتها فاذا شابت وصلته بالقيادة (وكانت كلمة) التي يضرب بها المثل في القيادة صبية في الكتاب تسرق أقلام الصبيان فلما شبت زنت فلما شابت قادت فلما أقعدت اشترت قيما وكانت تنزيه بين يديها ﴿وذكر المدائني﴾ ان بعض عمال البصرة كان لا يزال يأخذ قوادة فيحبسها فيأتي من يشفع فيها فيخرجها فأمر صاحب شرطته وكتب رقعة يقول فيها فلانة القوادة تجمع بين النساء والرجال لا يتكلم فيها الا زان فكان اذا كلم فيها أحد قال اخرجوا قصتها حتى اذا قرئت قام الرجل مستحيا ﴿وحكى يقطان بن عبد الاعلى﴾ قال رأيت القين يضرب جاريته سلمى المغنية ويقول ما جنتيني بهدية ما جنتيني بخلعة قط هل هو الا هذا الكرى فهبلك لم تقدرين على شئ ما تقدرين على ولد فقالت هذه المرة أجيئك بابن فقال يا زانية ان لم تصدقي لاضربنك ألف سوط فرأيتها بعد ذلك ولها ابن متحرك تخدمه فقلت لها

وقد وفيت لمولاك قالت نعم ولكني كتمت رجل حتى جاءني هذا الولد فقال مولاها صدقت فهل ينبت الحب الا ان يزرع فعجبت من كتمتها المولى وطيب نفس الجارية وهذا الباب أعزك الله أكثر من ان يحاط به ولكني اختصرت لك من ملح أحاديثهم ما فيه مستمتع وستقف من الاخر التي أفردناها من أخبار القيان على كثير منه وقد قالت الشعراء في الرسل في الجاهلية والاسلام من ذلك قول حميد بن ثور الهلالي

خليلي اني مشتك ما أصابني * لتستيقنا ما فد لقيت وتعلما
أمنتكما ان الامانة من يخن * بها يحتمل يوما من الله مأثما
فلا تفشيا سري ولا تخذلا أخا * أبثكما منه الحديث المكتما
لتنخذا الى بارك الله فيكما * الى أهل ليلى العامرية سلما
فان كان ليلا فالوناه هديتما * وان خفتما ان تعرفا فتكتما
وقولا نخرجنا تاجرين فأبطأت * ركاب تركناها بثليث قيما
فان أنتما اطمأننتما وأمنتما * وأخليتما ما شئتما فتكلما
وقولا لها ما تأمرين بصاحب * لنا قد تركت القلب منه متيما
أبيني لنا انا رحلنا مطينا * اليك وما نرجوك الا توهما
الا هل صدا أم الوليد مكلم * صداي اذا ما كنت رمسا وأعظما

﴿وقال المأمون لرسول بعث به﴾

بعثتك مرتادا فعزت بنظرة * وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مقربا * فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
ورددت طرفا في محاسن وجهها * ومتعت باستمتاع نعمتها الاذنا
أرى اثر امنها بعينيك لم يكن * لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا
فيا ليتني كنت الرسول فأشتفي * وكنت الذي يعصى وكنت الذي أدنى

﴿وقال أبو الطيب المتنبي في مثل ذلك﴾

مالنا كلنا جوى يا رسول * أنا أهوى وقلبك المتبول
كلما عاد من بعثت اليها * غار مني وخان فيما يقول

أفسدت بيننا الامانات عينا * هاوخانت قلوبهن العقول
واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل قلب دليل

﴿وقال بعض المحدثين﴾

ياسوء منقلب الرسو * ل مخبرا بخلاف ظني
اني أعيذك أن تكو * ن شغلتني وشغلت عني

﴿وأنشد لابي نواس﴾

يامن أتى من دون حاجته * باب واحراس به وكلوا
ثم ويلك قد شغلت بما * لو عم خلق الله لاشتغلوا
وانظر رسولا ذا ملاطفة * لولا مرارة غيه عسل
ممن عليه غباوة وترى * أفعاله كالنار تشتعل
لا يحفلون به اذا خرجوا * من الابتذال ولا اذا دخلوا

﴿وأنشد أحمد بن عيسى الاهوازي في قواده﴾

تكاد لو لم تكن انسية * تجري من الانسان مجرى الدم
لا يعصم المقدار من كيدها * محـــلة في الموضع الاعظم

﴿وأنشد لآخر أيضا﴾

اذا أردت ان تناجي غاده * من الغواني صعبة المقاده
فادسس لها عجيزا قواده * أدب في الظلماء من جراده
قد انحنت من شدة العباده * تلوح في جبينها السجاده
كالحسن البصري أو قتاده * في يدها سبحتها الصياده
قد أحكمت من شدة المراده * قد ألفت غرائب القياده
فانها تدخل كالمرتاده * بذكر كل غافل معاده
وتصف الشقاء والسعاده * حتى اذا نصبت لها الوساده
ولاحظت بعقلة وقاده * ثم خلت بالعادة المراده
تروضها باللعم المقاده * حتى ترى طاعتها سعاده

﴿وقال أحمد بن أبي طاهر﴾

فأرسلتها أمضى من السيف مقدما * وأسرع من سيل بليل اذا احتفل
تدب دبيب النمل فى كل مفصل * لطافتها فى الرأى والقول والحيل
يذل لها الصعب الجموح قيادة * وتهدى الى طرق الضلال فلا تضل
يرى الفطن الداهى عليها عبادة * اذا مارآها وهى أختل من ختل
يؤلف بين الاسد والشاء لطفها * ويستنزل العصماء من شعف القلل
ولو انها شاءت باهون سعيها * لالفت الذئب الازل مع الجمل
ولو جبل رامت ازالة ركنه * برقتها يوما لزل بها الجبل
يغر العيون زهدها وخشوعها * وتسبيحها عند الشروق وفى الاصل
تسهل ماقد كان وعرا طريقه * وتفتح ماقد كان غلقا وماقفل

﴿وأنشد لابن بشير﴾

وزوله فى الذى رامت يتاح لها * من التجارب أسباب المقادير
لاتحذر الخود منها ان تدب لها * مشيد محكم البنيان والسور
كأن فى قلب من يصغى لمنطقها * من حرمانعتت لسب الزنابير
أخفى من الروح فى تاليف معصية * اذا تأملت من لطف وتقدير
قد ناطت الدهر مصباحا بعصمها * تشيمها بذوات البر والخير
خلت بواضحة الخدين مخطفة * كغصن بان رشيق القد ممطور
باتت تعلمها فى طول ليلتها * تقارب الخطو فى ميل وباطير
رفقا وتقليب عين عند كل فتى * يرنو بمقلتها أنفاس مبهور
مازلت أسئلها حظا وترفع لى * فى السوم حتى أجابت بعد تعسير
لبذل أصغر دهرا كنت أدخره * أزهو برؤيته زهو المباسير

﴿وأنشد لاسحق بن خلف البصرى﴾

لو ان رقيتها فى صخرة نطقت * أو اذن خرساء أضحت غير خرساء
أخفى من الروح اذ دبت لحاجتها * ولو تشاء مشت رفقا على الماء

﴿وأنشد الخازن﴾

ظلم الناس حسبنا * ورموه بالكبائر

ماله عيب سوى اصـ ـلاحه بين العشائر

﴿وأنشد لعبد بن وهب﴾

قالوا ابن عمة قواد فقلت لهم * كذبتم ما أبو حفص بقواد
لكنه رجل يخليك منزله * بالدرهمين وما يبقى من الزاد

﴿وأنشد ابن الأعرابي﴾

هل من رسول لطيف * الى غـــزال عنيـف
له سمير ذئب * وسمت قس عفيـــف
تكامل الظرف فيه * ففاق كل ظـــريف

﴿ومن ملح ما قيل في هذا المعنى قول ابن الدمينة﴾

خليلي سيرا مسعدين فسلما * على حاضر الماء الذي تردان
وسيرا فقولا نحن نطلب حاجة * وسيرا فقولا نحن منصرفان

﴿باب خلق النساء﴾

اذا كانت المرأة ضخمة في تعمد وعلى اعتدال فهي ربعة فاذا زاد ضخمها ولم تقبح فهي سبطة فاذا كانت طويلة قيل جارية سبطة وعيطبول فاذا كانت بها مسحة من جمال فهي جميلة ووضيئة فاذا أشبه بعضها في الحسن بعضا فهي حسانة فاذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية فاذا كانت لا تبالي ان تلبس ثوبا حسنا ولا قلادة فاخرة فهي معطال فاذا كان حسنها ثابتا كأنها وسمت به فهي وسيمة فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة ﴿وقالوا﴾ الصباحة في الوجه الوضاءة في البشرة الجمال في الانف الحلاوة في العينين الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال الحسن في الشعر والمرأة الرعبوبة البيضاء والزهراء التي يضرب بياضها الى صفرة كلون القمر والبدن والهجان الحسنة البياض والمرأة طفلة ما دامت صغيرة ثم وليدة اذا تحركت ثم كاعب اذا كعب ثديها ثم ناهد اذا زاد ثم معصر اذا أدركت ثم خود اذا

توسطت الشباب والزجاء الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما
خطا بقلم والبلج ان يكون بينهما فرجة وهو يستحب ويكره القرن وهو
اتصالهما والدعج ان تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة والبرج
شدة سوادهما وشدة بياضهما النجل سعتهما الكحل سواد جفونهما
من غير كحل الحور اتساع سوادهما الشنب رقة الاسنان واستواؤها
وحسنهما الرتل حسن تنضيدها واتساقها التفليج تفرج ما بينهما
الشتت تفرقها في غير تباعد في استواء وحسن يقال منه ثغر شتيت
الاشر تحديد في أطراف الثنايا يدل على الحداثة الظلم الماء الذي
يجري على الاسنان من البريق الجيد طول العنق التلع اشرافها
واذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي خود فاذا كانت جميلة الوجه
حسنة المعرى فهي بهكنة فاذا كانت دقيقة المحاسن فهي مملودة
فاذا كانت حسنة القدلينة العصب فهي خرعبة واذا كانت لم يركب
بعض لحمها بعضا فهي مبتسلة فاذا كانت لطيفة البطن فهي هيفاء
وخمصانة فاذا كانت لطيفة الكشحين فهي هضيم فاذا كانت لطيفة
الخصر مع امتداد القامة فهي مشوقة فاذا كانت طويلة العنق
في اعتدال وحسن فهي عطبول فاذا كانت عظيمة الجهيزة فهي رداح
فاذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهي خدلجة فاذا كانت
سمينة ترتج من سمنها فهي مرمادة فاذا كانت ترعد من الرطوبة
والغضاضة فهي برهرهة فاذا كانت كأن الماء يجري في وجهها فهي
رقراقة فاذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي بضة فاذا عرقت
في وجهها نضرة النعيم فهي نظرة فاذا كان فيها فتور عند القيام لسمنها
فهي اناد وهنانة فاذا كانت طيبة الريح فهي بهنانة فاذا كانت
عظيمة الخلق مع الجمال فهي عرهرة فاذا كانت ناعمة جميلة فهي
عبقرة فاذا كانت ممتنعة اللين وتعسمد فهي غيداء وغادة فاذا كانت
طيبة الفم فهي رشوف فاذا كانت طيبة ريح اليد فهي انوف فاذا

كانت طيبة الحلوة فهى رصوف فاذا كانت لعوبا ضحوكا فهى شموع
فاذا كانت تامة الشعر فهى فرعاء فاذا لم يكن لها فيها حجم من سمنها
فهى درماء فاذا ضاق ما بين فخذيها لكثرة لحمها فهى لفاء فاذا كانت
حييسة فهى خفرة وخريدة فاذا كانت منخفضة الصوت فهى رخيمة
فاذا كانت محببة لزوجها منحبيبة اليه فهى عروب فاذا كانت نفورا
من الريبة فهى نوار فاذا كانت تجتنب الاقذار فهى قذور فاذا كانت
عفيفة فهى حصان واذا كانت عاملة الكفين فهى صناع فاذا كانت
كثيرة الولد فهى بنون فاذا كانت قليلة الولادة فهى نزور فاذا كانت
تلد الذكور فهى مذكار فاذا كانت تلد الاناث فهى مئناث
فاذا كانت تلد مرة ذكرا ومرة أنثى فهى مهاب فاذا كانت لا يعيش لها
ولد فهى مقلات فاذا كانت تلد النجباء فهى منجاب فاذا كانت تلد
الحمقاء فهى محمقة فاذا كانت يغشى عليها عند الجماع فهى ربوح
والمكورة المطرية الخلق واللدنة اللينة الناعمة والمقصد التى لا يراها
أحد الا أعجبته والخبرنجة الجارية الحسنة الخلق فى استواء والمسبطرة
الجسيمة والجزراء العظيمة الجعيزة والرعبوبة الرطبة والزجراجة
الدقيقة الجلد والزنكة الكثيرة اللحم والطفلة الناعمة والرود
المتثنية اللينة والاملود الناعمة ومثلها الخرع مأخوذ من نبت
الخروع وهو نبت لين والبراقة البيضاء الثغر والدهمة السهلة والعاتق
التى لم تتزوج والباهاء الكريمة والمغفلة عن الشر العزيزة والعيطموس
الغطنة الحسناء والسهلبة الخفيفة اللحم والمجدولة الممشوقة والسرعوفة
الناعمة الطويلة والفيصاء والعفاء الطويلة العنق والتهنانة أيضا
الضحاكة المتهللة والغيلم الحسناء والخليق الحسنة الخلق وقال الفراء
هى أحسن الناس حيث نظرت ناظر أى هى أحسن الناس وجها وقال
أبو عمرو يقال للمرأة اذا كانت حسناء كأنها فرس شرها والشرهاء
الحديدة النفس وامرأة حسنة المعارف ومعارفها وجهها والمتحرية

الحسنة المشية في خيلاء والشموس التي لا تطمع الرجال في نفسها وهي الذعور وامرأة ظمياء اذا كانت سمراء أو شفة ظمياء كذلك ويقال انها الحسنة العطل أي الجسم ويقال غيقة أي التي يشاكلها كل الناس (ونذكر) اختلافات الناس في الثدي والعجز والمجدولة من النساء والضخمة الطويلة والغضيضة واختلاف شهواتهم في الممسوحة والمفلكة والكاعب والناهد والمتكسرة ومن استحسن الثدي الضخم الذي يملأ الكفين ومن ذم ذلك ومن وصف الشحم عبد بني الحسحاس حيث يقول

توسدني كفا وترفع معصما * علي وتخفي رجلها من ورائيا

أميل بها ميل الترنف وأتقي * بها القطر والشقان من عن شماليا

فسحم لم يتخذها هدفا تستنر عنه الريح والقطر الاوهي في غاية الضخم

ووقال أبو عبيدة دخل مالك الاشتر على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صبحة بنائه على بعض نسائه فقال كيف وجدت أمير المؤمنين أهله قال كالخير من امرأة لولا انها خناء قباء قال وهل يريد الرجال من النساء الا ذلك يا أمير المؤمنين قال كلا حتى تدفئ الضجيع وترى الرضيع فهذا يدل على العجب بالضخم والشحم وأكثر البصريين يجوهر النساء الذين هم جهابذة هذا الامر يقدمون المجدولة فهي تكون في منزلة بين السمينة والموفقة مع جودة القد وحسن الخرط ولا بد ان تكون كاسية العظام وانما يريدون بقولهم مجدولة جدولة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سليمة من الزوائد والفضول لذلك قالوا خصانة وسيفانة وكأنها جدل عنان وغصن بان وقضيب خيزران والتثني في مشية المرأة أحسن ما فيها ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة ووصفوا المجدولة فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب وقال بعض الاعراب

لها قسمة من خوط بان ومن نقى * ومن رشا الغزلان جيد ومذرف

يكاد كليل الطرف يكله خدها * اذا ما بدت من خدرها حين تطرف

---

٣ قوله ومذرف يعني به العين اه من هامش

﴿وقال آخر﴾

ومجدولة جدل العنان اذا مشت * تنوء بخصريها ثقال الروادف

﴿وقال آخر﴾

ومجدولة اما مجال وشاحها * فغصن وأما ردفها فكثيب
لها القمر الساري نصيب وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب

﴿وقال أبو نواس وقد أحسن ما شاء﴾

أحلت من قلبي هوى المحلة * ماحلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي في مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها المهزول

﴿وأما قول الاعشى حيث يقول﴾

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقد وصفها كما ترى بالضخم ولكنه يذكر افراطا وقال الاحوص

من المدمجات اللحم جدلا كانها * عنان صناع انعمت ان تجودا

(قال أبو عثمان الجاحظ) كان أبو معمر بن هلال يقول عذرت الرجل الطويل الايرحتى يتمناها ضخمة ولكن ما عذر الصغير الايرفي ذلك وفي اختلافهم في الثدي أنشد للمرار بن سعد

صلبة الخد طويل جيدها * ضخمة الثدي ولما ينكسر

﴿وقال النابغة في النهود﴾

يخطرن بالعيدان في كل مقعد * ويخبأن رمان الثدي النواهد

﴿وقال آخر أيضا﴾

وثديين كالرمانتين تجنه * غداة السرى فهي ذات ثمار

﴿وأنشد لمسلم بن الوليد﴾

فاقسمت أنسى الداعيات الى الصبى * وقد فجأتها العين والشر واقع
فغطت بايديها ثمار صدورها * كايدي الاساري أثقلتها الجوامع

وذم اعرابى امرأة فقال والله ما بطنها بوالد ولا شعرها بوارد ولا ثديها بناهد ولا فوها ببارد وكتب الحجاج بن يوسف الى الحكم بن أيوب قال اخطب على عبد الملك امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها أمة لبعلها فكتب اليه أصبتها وهى خولة بنت مسمع لولا عظم ثديها فكتب اليه الحجاج لا يحسن بدن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع

﴿وقال آخر يذم عظم الثدى﴾

لعمرى لبيض يحتلان بقفرة * لطائف ثدى الصدر غيد السوالف
أحب الينا من ضخام بطونها * لا باطها تحت الثدى تعاطف

وقال آخر فى الممسوحة التى لم يبد بصدرها شئ

وعلقت ليلى وهى بكر خريدة * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

﴿وقال نصيب﴾

ولولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشو الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار
اذا ما الزل ضاعف فى الحشايا * كفاها ان يلاث بها الازار

﴿وقال ذو الرمة﴾

بعيدات مهوى كل قرط عقدته * لطاف الحشا تحت الثدى القوائك

﴿وذكر آخر ابتداء النهود فقال﴾

نظرت اليها نظرة وهى عاتق * على حين شبت واستبان نهودها

وليس فى الحيوان شئ واسع الصدر غير الانسان ولا فى جميع الحيوان أنثى فى صدرها ثدى الا المرأة والفيلة وكذلك الرجل والعرب تمدح الرجال والنساء بطول الاعناق قال الشاعر

ومن كل شئ قد قضيت لبانتى * سوى ضخم اعجاز تقال الروادف
وهصرى اعنا قا تاين وتنثنى * كما لان خيطان الاراك الصعائف

﴿وقيل لابراهيم بن النظام﴾ أى مقادير الثدى أحد قال وجدت الناس يختلفون فى الشهوات وسمعت الله تبارك وتعالى حين وصف حور العين جعلهن كواعب أترابا ولم يقل فوالك ولا نواهد وقالت العرب يسار الكواعب ولم تقل يسار النواهد ولا يسار الفوالك ولم أرهم يختلفون فى مدح عظيم الركب كما اختلفوا فى مقادير الثدى فى طول الاعناق يقول الشمردل

ويشبهون ملوكا فى مهابتهم * وطول أنصبة الاعناق والامم

﴿وقال آخر﴾

طوال أنصبة الاعناق لم يجدوا * ربع الاماء اذا راحت باذفار

وهو حسن مالم يطل جدا فاذا أفرط كان عيبا كما عيب بذلك واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فسمى عنق نعامة وعيب بذلك جعفر بن يحيى البرمكى وكذلك قال فيه الحسن بن هانئ

ذاك الوزير الذى طالت علاوته * كأنه ناضر فى السيف بالطول

وقد زعموا انه أول من اتخذ هذه الاطواق العراض فاستحسنها الناس بعده فاتخذوها وفى صفة الاعكان يقول يزيد بن معاوية

لها عكن بيض كأن غضونها * اذا شف عنها السابرى فداح

﴿وقال أبو الطيب المتنبى﴾

يضمها المسك ضم المستهام بها * حتى يصير على الاعكان اعكانا

﴿وقال آخر أيضا﴾

غراء واضحة اقراب خرعبة * طوع العناق فلا بكر ولا نصف

﴿وقال النابغة الذبيانى﴾

والبطن ذو عكن لطيف طيه * والنحر ينفيه بثدى مقعد

محطوطة المتنين غير مفاضة * ريا الروادف بضة المتجرد

واذا لمست لمست اجثم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع المخزور بالرشا المخضد

* انشد

وأنشد للاعرابي أيضا

لما رأت ان الرحيل قدمان * قامت تهادى في رقيق المكان
بواضح الوجه قليل التلبلان * وعكن مثل متون الغزلان

﴿وقال الفرزدق﴾

اذا بطحت فوق الاثاني رفغها * بثديين في صدر عريض وكعثب

فزعم انها اذا بطحت على وجهها لم تمس الارض بشيء من سائر جسدها الا نهود ثديها وعظم ركبها فصارت لبدتها كالاثاني القدر قال عبد بني الحسحاس

من كل بيضاء لها كعثب * مثل سنام البكرة المائل

وحلف ابن مطيع للنبي الشاعر ان جاريته خرداء كانت تستلقي على ظهرها فتشخص كتفاها ومنكباها حتى لقد كان يتدحرج الزمان والاترج من تحت خصريها قالوا كانت الزباء بنت عبد الله تصب جرة الماء على رأسها فلا يصيب نخذيها الا بعد جيزتها قال الشاعر

تفج الجفينة لا ترى لكعوبها * حجما وليس لساقها طنبوب
عظمت روادفها وسهل وجهها * والوالدان نجيبة ونجيب

ومن مليح ما قيل في هذا القول قول الاعرابي

أبت الروادف والثدي لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت * نبهن حاسده وهجن غيورا

والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك من النساء ويستحسنونه قال ذو الرمة

ومحتلق للملك أبيض قد غمر * اشم الجلا العين كالقمر البدر

لما أنشد بشار بن برد قول الشاعر

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا لمسوها بالاكف تلين

ضحك بشار من قوله عصا خيزرانة وقال لو زعم انها عصا رند أو عصا ند لهجنها وكان ذلك خطأ بعد ان جعلها عصا فهلا قال كما قلت

اذا قامت لسيحتها التفت * كان عظامها من خيزران

وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك خلف عليها بعد عبد العزيز قال لو أن رجلا ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقه منها شيء الينها وقال بشار

اذا مشت نحو بيت جارتها * قامت من الرمل خلفها حقف

يرتج من مرطها مؤزرها * وفوقه غصن بانة قصف

وقد قيل في الضخمة

قليلة لحم الناظرين يزينها * شباب ومخفوض من العيش بارد

أرادت التماس الرواق فلم تقم * اليه ولكن طأطأته الولائد

وقال آخر أيضا

ضوء برق بدا لعينيك أم شبهت بذي الاثل من سلامة نار

أوقدتها بالمسك والعنبر الند * ن فتاة يضيق عنها الازار

وأنشد أيضا

وتبدي على المتن من شعرها * عنا قيد كرم تدلين سودا

ويجري السواك على بارد * لذيذ من الدر يبدي نضيدا

وما زانها العقد لكنها * تزين بالنحر منها العقودا

كشمس الضحى بين اترابها * توافين يوما ليشهدن عيدا

فكم من قتيل بتلك العيون * وكم من قتيل تولى عميدا

فان يك عني قسا قلبها * فلم يجعل الله قلبي حديدا

أعيذك بالله ان تشمتي * بنا واشيا أو تطيعي حسودا

(وقال جوان العود) وقد تزوج امرأة فلقي منها برحا وكانت حسنة الشعر فقال

الا يغرن امرؤ نؤفلية * على الرأس منها أو ترائب وضح

ولا فاحم يشقي الدهان كانه * أساود يرهاها بعينيك أفطح

النؤفلية مشط وأنشد لآخر

لا تنه قلبك ان يتوق الى الهوى * ان القلوب الى سعاد تتوق

فرعاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو جثل مونق
فكأنه ليل عليها مغدف * وكأنها فيه نهار مشرق

﴿وأنشد لآخر﴾

مقصودة ما ان لها مثل * فى عندها العبرات والخبل
فالشعر ها من شعرها زجل * ولعينها من عينها كحل
ان شئت قلت اذا هى انصرفت * بين الروادف والحشا فصل

﴿وأنشد لآخر وذكر طول العنق﴾

وأعجبنى منها غداة لقيتها * تبلبل أرداف لها ومحاجر
وجيد كأملود الزغامى رعابة * بمنهل صبت عليه الغدائر

وقد وصفوا الافواه والريق والشفاه قال بعضهم

ومقبل عذب المذاق كأنه * برد تحدر من غمام ماطر
هن الدواء لدائنا وشفاؤنا * من كل داء باطن أو ظاهر

﴿وقال ذو الرمة﴾

لماء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى انيابها شنب

والعرب يزعمون ان أطيب الافواه أفواه الظباء كما ان أبعارها أطيب رائحة من سائر الابعار ويزعمون ان ليس فى السباع أطيب أفواها من الكلاب ولا فى الناس أطيب أفواها من الزنج ويزعمون ان علة ذلك كثرة الريق لان علة الخلوف جفوف الريق والبخر يحدثه الكبر وقد اعترى أشرافا من الناس (قال) سار أبو الاسود الدؤلى عبيد الله بن زياد فلما أدنى فاه من أنف عبيد الله خمر أنفه عبيد الله فجذب أبو الاسود يده فضاها وقال انك والله لن تسود حتى تصير لسرار الشيوخ البخر فعجب الناس من جلده ومراسه والافواه الموصوفة بالنتن أفواه الاسود وأفواه الصقور (والشعوبية) وغيرهم ينهون عن السواك وقالوا انما يعترى الخلوف من يستاك والمرء من يكتحل والشعث من يدهن وزعموا ان السواك يقلقل الاسنان ويأكل ما عليها من اللحم أعنى اللثة ويذهب

العمور التي بينها و برخها وقال حسين بن مطير

بمرتجة الارداف هيف خصورها * عذاب ثناياها اعجاف قيودها

يريد انها صلاب عجاف غير وارمة ولا مسترخية والسواك يوهنها ويزينها عن أماكنها وزعموا ان السواك يجلب ماء الوجه فيفنى على الايام نضرة اللون وحمرة الوجنات كما يصنع طول رضاع الطفل في لبة المرأة وفي لون وجهها فاذا تحلب الماء المستكن في الغلاصم والافواه أعقب ذلك الافواه جفوفا فاذا جفت لعدم الريق أورثها خلوفا فقال من رد على هؤلاء قد علمنا ان من أعظم الامم التي عليها مدار الامور في العقل والعلم والرضا قد اجتمعوا على السواك والخضاب فلو كان السواك يورث البخر لم تكن هاتان الامتان مع ما فيهما من بعد الغور وشدة المزل بالنساء والتقرب الى قلوبهن والاستمتاع بهن ليجهل هذا القدر من العيب الفاحش فمن أحب ان يعرف افراط العرب في الغزل والصبابة بالنساء فليقرأ أشعارهم وأحاديثهم الاسلامية وليقرأ كتب الهند في الباه ولو تتبعت أشعارهم في استعمال النساء السواك لطال به الكتاب

﴿وعن عمر بن دينار﴾ قال سمعت الحسن بن علي عليهما السلام يقول لذريح بن سنة حل لك ان فرقت بين قيس وليلى أما اني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أبالي مشيت الى الرجل بالسيف أو فرقت بينه وبين امرأته ﴿قال الزبير بن بكار﴾ دخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت أقسمت عليك بأي شيء وعدت كثيرا حيث يقول

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

قالت لها وعدته قبلة فمطلته سنة فلما ألح في التقاضي هجرته فضمني واياه طريق بعد حين فاستحييت منه فقلت حياك الله يا جمل ولم أحيه فقال

حييتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحي ويحك من حياك يا جمل

ليت التحية كانت لي فاجعلها * مكان يا جمل حياك يا رجل

وهو على تقاضيه الى اليوم قالت أقسمت عليك الا قضيته اياها وأعمه

في عنق ﴿ أبو عبيدة ﴾ قال كان بارض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عم لها فبذل لها أربعة آلاف درهم فابى أبوها ان يزوجها منه وأجدبت البادية فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا اليه ما يلقى فقال له قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم فاعطنا اياها فانت أحب الينا لقرابتك قال له أجلني شهرا فاجله ولم يكن مع الفتى الا ناقة فركبها ومضى الى عبد الملك بن مروان فطلب الاذن عليه فلم يؤذن له فقال اني رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز فادخل عليه من ساعته فقال معك كتاب من فلان قال لا قال فرسالة فانشأ يقول

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن * أدلى اليك بلا قربى ولا سبب
مسدله عقله من حب جارية * موصوفة بكمال الحسن والادب
خطبتها اذ رأيت الناس قد لهجوا * بذكرها والهوى يدعو الى العطب
فقلت لي حسب زانك ولي شرف * قالوا الدراهم خير من ذوي الحسب
انا نريد الوفاء منك أربعة * ولست أملك غير الحلس والقتب
فامنن علي أمير المؤمنين بها * واجمع بها شمل هذا البائس العرب
فما وراءك يعبد الله مطلب * أنت الرجاء وأقصى غاية الطلب

فضحك عبد الملك وأمر له باربعة آلاف درهم وقال هذا صداق أهلك وزاده أربعة آلاف أخرى وقال له أولم بهذه وأنفق عليها منها فقبضها ومضى فتزوج بالجارية ﴿ وكان ﴾ اسحق بن سليمان بن علي شابا ظريفا عجبا للشعر فخرج ذات يوم وأبوه يلي البصرة لابي جعفر المنصور ومتنزها الى ناحية البادية فلقي اعرابيا فصيحا الا انه شاحب اللون مصفر ظاهر النحول فاستنشده فقضى عنه فقال له ما بالك فوالله انك لفصيح قال له اما ترى الجبلين قال قلت بلى قال في طلالهما ما شغلني عن انشادك قلت وما ذاك قلت ابنة عم لي قد تيمتني وأذهلت عقلي وتالله لئن أتى علي لا أدري أفي السماء أنا أم في الارض قال قلت وما يمنعك منها قال قلت ذات يدي قلت وكم مهرها قال خمسون ناقة قال قلت فيزوجونك اذا

دفعتها قال نعم قال فقلت له أنشدنى مما قلت فيها فانشدنى

سبى العلم الفرد الذى فى طلاله * غزالان مكحولان يرتعيان

أرعتهما صيدا فلم أستطعهما * وخبلا فقاتانى وقد خبلانى

قال فقلت له يا اعرابى لقد قتلتنى بقتلك فنفيت من العباس ان لم أقم بامرك فرجع الى البصرة فاخذ جماعة من أهله وما احتاج اليه وحمل معه الاعرابى وسار الى الجارية فخطبها الى الفتى فزوجه وساق اليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام فحرفيها ثلاثين بعيرا ووهب للاعرابى وللجارية مثل ذلك وانصرف الى البصرة (قال نفطويه) لما فرغ المهدى من بناء قصره ركب للنظر اليه فدخله فجأة وأخرج من هنالك من الناس فبقى رجلان خفيان عن أبصار الاعوان فرأى المهدى أحدهما وهو دهش ما يفعل فقال له من أنت قال انا أنا قال ويلك قال لا أدرى قال لك حاجة قال لا قال أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع فى قفاه فلما خرج قال لبعض الغلمان اتبعه من حيث لا يعلم حتى يصل الى منزله فاسئل عن صنعته فانى اخاله حائكا فخرج الغلام فقفوه ثم أتى الآخر فاستنطقه فاجابه بقلب جرى ولسان طلق قال له من أنت قال له رجل من أبناء رجال دعوتك قال فما جاء بك الى ههنا قال جئت لانظر الى هذا البناء الحسن واتمتع بالنظر اليه وأكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول البقاء ودوام النعم وهلاك الاعداء قال له أفلك حاجة قال نعم خطبت ابنة عمى فردنى أبوها وقال لا مال لك وانى لها عاشق وبها واله قال قد أمرت لك بخمسين ألف درهم قال جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين قد وصلت فاجزلت الصلة وصنت فاعظمت المنة فجعل الله باقى عمرك أكثر من ماضيه وآخر أيامك خيرا من أولها وأمتعك بما أنعم عليك وأمتع رعيتك بك فامر ان تجعل صلته ووجه بغلام آخر معه قال سل عن مهنته فانى اخاله كاتبا فرجع الرسولان جميعا فقال الرسول الاول وجدت الرجل حائكا ولم يرجع اليه قلبه ولا ثاب اليه نفسه وقال

خرو حدث الرجل كاتما فقال الهدى أنا ابن المنصور لم يخف عني
طيبة الكاتب والحائك ﴿قال أحمد بن أبي خيثمة﴾ أخبرتني مولاة
بت لآل جعفر بن أبي جعفر المنصور قالت علق عيسى بن جعفر
ية لام ولده فمنعته اياها غيرة عليه وتبعتها نفسه فدست جارية لعيسى
ل لها ابريرا لى مولاتها في ان تبيعها منه وارغبتها فباعتها منها فأخذتها
برغالية وصنعتها وكانت لبريرة من عيسى ليلة فوجه اليها بخمسة وبقدح
ية تضمخ به شعرها فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الخامة وضمخت
سها ووجهت بها اليه فلما رآها سأل عنها فاخبرته بالخبر وانها
زت هوى نفسه على هوى نفسها فمر بذلك ودعا ببريرة فأعتقها وتزوج
ومهرها ضياعا بالكوفة لها قدر فقالت بريرة ان من شكر الله على
وهب لي من رأى أمير المؤمنين ان أجعل ما أعطاني من هذه الضياع
ية لله عز وجل تجري للاذ ير ولي أجرها فأوقفتها على أهل بيت من
نصار منهم بن معاذ فلم يزل ذلك يجري عليهم ﴿قال ابراهيم﴾ بن
هدي حججت مع الرشيد فلما كنا بالمدينة خرجت الى العقيق أسير على
ابتي وليس معي غلام فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفي
يها دلو فلما رأتني قالت يا هذه أسقني فنظرت الي وقالت أنا
شغولة عنك وفرغت قربوسي بقرعتي موقفا بها على القربوس وغنيت
ا سمعت ذلك مني صلأت دلوها وبادرت به الي وقالت اشرب يا عم
سربت فقلت لا والله يا عم أين أهلك أحمل اليهم هذه القربة فقلت بين
ذي فضت مسعى حتى أتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم زعرت
قالت لها لا بأس عليك وأخذت الماء وأمرت من وصله فقال لي
لغلمان قد جاء رسول أمير المؤمنين مرارا فقضيت اليه فقال لي أين كنت
فاخبرته بخبر الجارية فأمر بطلبها فاتي بها فأمر بابتياعها من مولاها
يأعتقها وقال لها من تؤذنه ويؤذيك وتحبينه ويحبك قالت نعم عبد
لآل فلان فأمر بابتياعه وأعتقه ثم زوجها اياه وأمر لهما بمال (ح

الرشيد) سنة احدى عشر من خلافته فلما نزل بالكوفة بعد قفوله م
دعا اسمعيل بن صبيح فقال انى أردت الليلة ان أطوف فى محال الكو
وقبائلها فأهب لذلك قلت نعم فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه وركب
حمارا وركبت أنا آخر ومعى خادم ومعه خادم من خاصة خدمه فلم
نطوف المحال والقبائل حتى انتهينا الى الخنع فسمعنا كلاما فقال الرش
لاحد الخادمين ادن من الباب وتعرف ما هذا الكلام فتطلع
موضع فى الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنش
شعرا وتردد أبياته وتتبع كل بيت برنة وأنة وتبدى زفرة وتفيض ع
والنسوان اللواتى معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها ه
الابيات

هل أرى وجه حبيب شفنى * بعد فقدانيه افراط الجزع
قد برى شوقى اليه أعظمى * وبلى قلبى هواه وفسزع
ليت دهرا مر والقلب به * جذل والعيش حلو قد رجع
وعفت آثاره منـــه فيا * ليت شعرى ما به الدهر صنع
قد تمسكت على وجدى به * بجميل الصبر لو كان نفع

فقال للخادمين اعرفا الموضع الى غد ورجعنا الى البصرة فلما طلع الف
وفرغ من صلاته وتسبيحه قال للخادمين امضيا الى الدار فان كان و
رجل من وجوه الحى فجيا به حتى أسئله عما أريده فسار الخادم
الى الدار فلم يجدا فيها رجلا فدخلا الى مسجد الحى فقالا لاهله أ
المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم أحببت ان يجيئنى منكم أر
لاسئلهم عن أمر قالوا سمعا وطاعة وقاموا معهما فدخلوا على الرش
فقربهم وأدناهم وقال لهم انى طفت البارحة فى بلدكم عنايته م
بامورهم وتفقد الاحوالكم فسمعت فى دار من داركم امرأة تنش
شعرا وتبكى وقد خفت أن تكون مغيبة وان نزاع النفس أهون
نزاع الشوق وقطع الاوصال أهون من قطع الوصال وقد أحبد

ف خبرها منكم وآخذ حقيقة أمرها عنكم قالوا يا أمير المؤمنين
ه امرأة يقال لها البارعة بنت عوف بن سهم كان أبوها زوجها ابن
لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف درهم فهلك أبوها
قبل أن يجتمعا فاكتتب زوجها مع عامل الى اليمن لقلة ذات يده
منذ خمس سنين فحزنت عليه وطال شوقها اليه وقد قالت فيه
ارتستريح الى ذكره فأمر الرشيد من ساعته
كتب ... به باليمن فى حمل سليمان بن همام على البريد الى حضرته
مدينة السلام بغداد فما مضت أيام بعد وصول الرشيد حتى دخل
... اسمعيل بن صبيح فقال يا أمير المؤمنين قد ورد كتاب صاحب اليمن
بن البريد مع النخعى الذى أمرت بحمله اليك قال فأمر بحمله وادخاله
... فنظر الى رجل معتدل القامة ظاهر الوسامة ذرب اللسان
... البيان فقال أنت سليمان بن همام قال نعم يا أمير المؤمنين قال له
... على خبرك فقص عليه خبره فوجده موافقا لما خبره به الاربعة
النفر فأمر له بعشرة آلاف درهم يولم بها وعشرة آلاف
أخرى يدخرها فأخذ جميع ذلك من يومه ورحل الى
الكوفة فدخل باهله وكان الرشيد يتعاهده
بصلته وبره * نجز كتاب النساء بعون
الله واحسانه والحمد لله وحده
والصلاة والسلام
على محمد نبيه
وآله وسلم
آمين
م

ن أسنى ما حليت به صدور الطروس حمد من خلق الانسان من نفس
واحدة وخلق منها زوجها لتسكن اليها النفوس والصلاة والسلام
على من أحبه الله واجتباه وأنزل عليه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وعلى آله وصحبه الباذلين نفوسهم في حبه ﴿أما بعد﴾
فقد تم طبع كتاب أخبار النساء المشتمل على نوادر الاحباء ولطائف
الادباء وناهيك به من روض أدب حقيق ان يبتدر اليه الظرفاء
من كل حدب ولن تسرح نحوه الانظار لما أحرزه من شوارد النوادر
وبدائع الاخبار حدير ان يتخذ نديم مسامرة وجليس مؤانسة
ومحاضرة فكم أبرز ابريز حكايات ونظم عقود وقائع مستحسنات
باسلوب يسلب الهموم ويزيل عن القلوب الغموم وكان طبعه الله الموفق
ووضعه الموفق النافذ بعطفه من راق طبعه وصفا حضرة محمد أمدى
مصطفى لازالت مبتسمة الثغور ببانع المنظوم والمنثور
وأشرق بدر التمام وتضوع مسك الختام في
أواخر شهر رمضان الكريم سنة ١٣٠٧ ص
هجرة المصطفى عليه الصلاة
والتسليم وعلى تابعيه ما حن
محب الى محبوب
وما هبت شمال
أو جنوب

(تنبيه)

ما في طرة هذا الكتاب هذا المعروف أن قيم الحوز يه وهو خطأ والصواب المعروف
بأن قيم الحوز يه وما في الكتاب من الغلط الواقع في الطبع فقليل لا يشكل على
الفطن ولذلك لم نتكلف تصويبه